العوام والخواص

في كلمات الإمام الخميني قدس سره

هوية الكتاب

اسم الكتاب .... العوام والخواص في كلمات الإمام الخميني قدس سره

تأليف .... حسين شيدائيان

اعداد ونشر .... دار الولاية للثقافة والإعلام

ترجمة .... وليد محسن

الطبعة .... الأولى ١٤٣٢هـ.ق

العوام والخواص

في كلمات الإمام الخميني قدس سره

تأليف

حسين شيدائيان

ترجمة

وليد محسن

إعداد وترجمة ونشر

دار الولاية للثقافة والإعلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول: مفاهيم عامة

مقدمة حول بحث العوام والخواص

إنّ الموضوع الأساس محل البحث في هذا الكتاب؛ هو الوقوف على رأي الإمام الخميني قدس سره في موضوع العوام والخواص ودورهما في المجالات السياسية والاجتماعية في الإسلام والثورة الإسلامية. وقبل الولوج في بحث هذا الموضوع، نجد من الضروري أولاً أن نتطرق إلى بحث اصطلاح العوام والخواص من جوانبه المختلفة لنتمكن من تعيين مجال البحث، حتى يتسنى للقرّاء الكرام فهم المواضيع وإدراكها بسهولة ووضوح.

١ـ العوام والخواص في اللغة والاصطلاح

إنّ كلمة (عوام) تعني في اللغة الفارسية الناس الأُميين أو الذين لم يحضوا بنصيب كبير من التعلّم، ويعبّر عنها أيضاً ببعض الكلمات المرادفة لها في المعنى.

أما كلمة (خواص) فتعني الخاصة من الناس أو عليّة القوم، وهي ضد العوام.

كما تعني كلمة (العوام) الناس البسطاء، في حين تعني كلمة (خواص) طبقة الأشراف والأثرياء.

أما في الاصطلاح السياسي، فإن كلمة (العوام) تعني الطبقة الدنيا من أفراد المجتمع؛ في حين تعني (الخواص) مجموعة الأفراد التي تسعى للتسلّط على العوام واستغلالهم لتنفيذ مآربها وأهدافها السياسية [١].

٢ـ العوام والخواص في استنباط المعارف القرآنية

يتم تقسيم الناس في فهمهم للعلوم والمعارف الدينية والقرآنية إلى طبقتين أساسيتين تبعاً لدرجات إدراكهم وفهمهم للمطالب الدينية العميقة؛ وهاتان الطبقتان هما العوام والخواص، رغم تمايزهما أيضاً إلى درجات خاصة بهما.

الإمام الخمينيقدس سره في تفسيره لحديث «إنما يَعْرِفُ القُرآنَ من خُوطِبَ به» [٢]، يقول حول إدراك الآيات والفهم العميق للقرآن الكريم: «إن بعض الآيات المتعلقة بالأحكام الظاهرية والمتعلقة بالنصائح هي آيات يفهمها الجميع، أما الآيات المتضمنة: (لا يعرفُهُ إلاّ من خُوطِبَ به) أي نفس الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله؛ أي لا يفهمها حتى الواسطة أيضاً ــ حتى جبرائيل لم يتمكن من فهمها!ـ فجبرائيل الأمين كان واسطة يقرأ الكلمات

(١) فرهنگ سياسي، آقا بخشي، ص ٢٥٤، المركز العلمي الإيراني للمعلومات.

(٢) بحار الأنوار، المجلسي، ج٢٤، ص ٢٢٧، الوفاء، بيروت.

على الرسول الأكرم صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ.. والآخرون أيضاً فهموها بواسطة النور الذي انتقل من قلب الرسول صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ إلى قلوب خواصه الذين علمه لهم. أما من هم أمثالنا والبشر العاديون فيعجزون حقاً عن فهم معنى (هو معكم)؛ وأيُّ معيَّة هذه؟» (١).

والإمام الحسين عَلَيْهِالسَّلَامُ يبين درجات فهم القرآن الكريم بالشكل التالي: «كتابُ الله عَزَّ وجَلَّ على أربَعة أشياء، على العبارَة، والإشارَة واللَّطائف والحقائق؛ فالعبارَةُ للعوامِ، والإشارَةُ للخواصِ واللطائفُ للأولياء، والحقائقُ للأنبياء» (٢).

وفيما يتعلق بإدراك الأفراد وفهمهم لمعاني آيات القرآن الكريم حسب نسبة فهمهم وإدراكهم، يقول الإمام الخميني قُدِّسَسِرُّهُ:

«القرآن مائدة إلهية مفروشة لجميع الطبقات، أي مكتوب بلغة تناسب عامة الناس، وتناسب الفلاسفة أيضاً، ومكتوب بلغة العرفاء وبلغة أهل المعرفة.. فعامة الناس يفهمون منه أشياء كثيرة، والخواص يفهمون منه معاني أعمق منها، وأخص الخواص أيضاً يفهمون منه المعاني الأكثر عمقاً» (٣).

---

(١) صحيفة الإمام، ج١٨، ص ٢٦٢، مؤسسة آثار الإمام.

(٢) بحار الأنوار، ج٨٩، ص ٢٠.

(٣) صحيفة الإمام، ج ٢٠، ص ٤٠٨ ـ ٤٠٩.

٣ـ العوام والخواص في الفقه الإسلامي

يتكفل الفقه الإسلامي بإدارة الأمور الحياتية للإنسان من المهد إلى اللحد، ويطلق اصطلاح (الفقيه) على العلماء الذين يقضون سنوات طويلة من عمرهم في معرفة وإدراك الأحكام الإلهية والمباحث الفقهية حتى يتمكنوا من تلبية الإحتياجات الدينية الضرورية للناس، وفي المقابل يجب على الأفراد الذين لا يمتلكون قدرة استنباط وإدراك المسائل والأحكام الفقهية المتعلقة بحياتهم اليومية، تقليد فتاوى الفقهاء.

الإمام الحسن العسكري عليه السلام بعد أن يعدد صفات الفقيه، يصف من يُقلّد فتاوى الفقهاء بلفظ (العوام)، فيقول:

«.. فأمّا مَنْ كانَ مِنَ الفقهاء صائناً لِنَفْسه، حافظاً لدينه مخالفاً عَلى هواه مُطيعاً لأمرِ مولاه، فَلِلْعَوامِ أنْ يُقَلِّدُوهُ» (١).

وحسب هذا الحديث الشريف، تطلق كلمة (العوام) على الأفراد الذين يجهلون المسائل الفقهية والشرعية؛ وبالتالي يمكن أن نطلق كلمة (الخواص) في مجال المسائل الفقهية على العلماء والفقهاء.

٤ـ العوام والخواص في التربية الدينية

وحسب أداء الواجبات والفرائض الدينية، ينقسم الناس إلى عدّة مجموعات، مجموعة منهم تؤدّي واجباتها ظاهراً، وأخرى تؤدّي واجباتها

---

(١) الإحتجاج، الطبرسي، ج٢، ص ٤٥٨، الأعلمي، بيروت.

باطناً؛ فيصنّف بعضهم ضمن مجموعة (العوام) ويصنّف البعض الآخر في مجموعة الخواص:

١ـ الصوم: آية الله الحاج الميرزا جواد الملكي التبريزي قدس سره في كتابه الأخلاقي والعرفاني (المراقبات) يصنّف الناس حسب صومهم شهر رمضان المبارك إلى عدّة أصناف، فيقول:

وكيف كان فمراتب الصوم ثلاثة:

« أ ـ صوم العوام: وهو بترك الطعام والشراب والنساء على ما قرّره الفقهاء من واجباته ومحرماته.

ب ـ صوم الخواص: وهو ترك ذلك مع حفظ الجوارح من مخالفات الله جلَّ جلاله.

ج ـ صوم خواص الخواص: وهو ترك كل ما هو شاغل عن الله من حلال أو حرام» [١].

٢ـ الصلاة: أما بالنسبة للصلاة وهي معراج المؤمن ومرقاة الوصول إلى الحق تعالى، فتكمن فيها أسرار ينهل منها كل مؤمن بمقدار معرفته وقابليته.

الإمام الخميني قدس سره يقول عن سبب تأليفه لكتاب (آداب الصلاة) بعد تأليف (أسرار الصلاة):

«قبل هذا ألّفتُ رسالة ضمّنتها بعضاً من أسرار الصلاة قدر الإمكان،

(١) المراقبات في أعمال السنة، ميرزا جواد الملكي التبريزي، ص ١٢٥.

ولأنها لم تكن تناسب فهم العامة، فقد رأيت أن أجمع بعضها مع البعض من الآداب القلبية لهذا المعراج المعنوي في هذه الرسالة» (١).

وقد ذكر سماحته في مقاطع متعددة من كتاب (آداب الصلاة) أن سبب تأليفه لهذا الكتاب هو مساعدة العوام على إدراك معاني الصلاة، فتجنّب فيه الدخول بالمباحث العميقة والدقيقة، وذكر أن السبب في ذلك هو: أن هذه الرسالة قد كتبت لتتلائم مع ذوق العامة (٢).

ويقول الإمام في بحث أسرار قراءة الصلاة:

«وهي كسائر أجزاء الصلاة، لها مراتب ومقامات تختلف حسب مقامات أهل العبادة والسلوك، وسنشير لها على نحو الإجمال:

الأولى، قراءة العامة، وأصلها التجويد وتصحيح الصورة..

الثانية: قراءة الخاصة، وهي استحضار حقائق لطائف الكلام الإلهي في القلب بقدر قوة البرهان أو كمال العرفان..» (٣).

٥ ـ العوام والخواص في الأخلاق الإسلامية (التقوى)

كل شخص ينال درجته من كمال الأخلاق حسب معرفته الدينية وسعيه في مراقبة أعماله وسلوكه؛ لهذا يصنف الأئمة المعصومين وعلماء الأخلاق بعض الفضائل الأخلاقية حسب المعرفة الدينية للمتصفين بهذه الفضيلة.

---

(١) آداب الصلاة، الإمام الخميني، ص ٢.

(٢) المصدر السابق، ص ٥٩.

(٣) سر الصلاة، الإمام الخميني، ص ٨٠ ـ ٨١.

ومن بين الفضائل الأخلاقية إخترنا فضيلة (التقوى)، باعتبارها أهم الفضائل وأكثرها قيمة، لنبين مراتبها:

في كلام منسوب للإمام الصادقعليه السلام، يقسّم التقوى إلى ثلاث مراتب:

١ـ التقوى بالله وفي الله: أي في سبيل الله ولله يبتعد عن كل ما هو لغير الله؛ وهذه درجة أخص الخواص من المؤمنين.

٢ـ التقوى من الله: أي الابتعاد عن الشبهات؛ وهي درجة الخواص من أفراد المجتمع الإسلامي.

٣ـ التقوى من جهنم والعذاب: أي اجتناب المحرّمات خوفاً من جهنم وعذاب الله، وهي درجة العوام [1].

الإمام الخميني في كتابه القيّم شرح الأربعين حديثاً يبين مراتب ودرجات التقوى، فيقول:

«تقوى العامة عن المحرمات؛ والخاصة عن المشتهيات، والزهاد عن الإرتباط بالدنيا..» [2].

وفي تفسيره المختصر لآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللهَ﴾ [3]. يقول سماحته: هذه الآية الصغيرة لفظاً، الكبيرة جداً في المعنى، تتضمن عدداً من الإحتمالات المفيدة التي تحذر

(١) مصباح الشريعة، عبد الرزاق الگيلاني، ص ٤٥٣، الباب ٨٢، انتشارات الصدوق.

(٢) الأربعون حديثاً، الإمام الخميني، ص ٢٠٦.

(٣) سورة الحشر، آية: ١٨.

المؤمنين، وسنشير إلى البعض منها:

١ـ يمكن أن تكون خطاباً لمن هم في أول مراتب الإيمان، كإيمان العامة. وفي هذا الإحتمال يكون الأمر بالتقوى أمر بأول مراتبه، أي تقوى العامة، وهو اجتناب مخالفة الأحكام الإلهية الظاهرية.

٢ـ يمكن أن تكون خطاباً لمن وصل الإيمان إلى قلبه.. وأمرهم بالتقوى هنا يختلف عن الإحتمال الأول، فالتقوى في هذا الإحتمال ليست التقوى عن رذائل الأعمال؛ بل التقوى عن الإستعانة بغير الله، والتقوى عن عبودية غير الحق.

٣ـ الإحتمال الآخر، أن تكون خطاباً لأصحاب الإيمان من خواص أهل المعرفة، المولهين بمقام الربوبية، المحبين لجمال الجميل، الذين يرون بقلوبهم ومعرفتهم أن باطن جميع الموجودات مظهر من مظاهر الحق تعالى..، وبهذا الإحتمال يكون الأمر بالتقوى لهذه الطائفة من العشّاق والخواص الذين يختلفون كثيراً عن الآخرين، هو أمر بالتقوى عن رؤية الكثرة والشهود المرائي والرائي، والتقوى عن التوجّه إلى الغير حتى ولو كان بصورة التوجّه إلى الحق عن الخلق [١].

الإمام الخميني في بحثه فضيلة (الورع) التي يعرّفها بأنها صيانة النفس بشكل كامل، وآخر مرتبة من مراتب حفظ النفس عن المعاصي

(١) صحيفة الإمام، ص ٥١٣ و٥١٥ و٥١٧.

والمكروهات، يصنفها إلى مراتب ودرجات، فيقول:

«ورع العامّة الاجتناب عن الكبائر، وورع الخاصة الاجتناب عن المشتهيات خوفاً من الوقوع في المحرمات» (١).

٦ـ العوام والخواص في مسائل الإسلام السياسية

إنّ بحث معرفة العوام والخواص وتحليل أفكارهم ودورهم في مسائل الإسلام السياسية، يعتبر من المباحث الدقيقة والمهمة التي قلّ التطرّق إليها حتى الآن.

ومعيارنا في هذا البحث هو المسائل السياسية العامة للإسلام من وجهة نظر الإمام الخميني قدس سره، والتي تشمل محاربة الظلم، والسعي لتشكيل الحكومة الإسلامية وتحقيق أهدافها، والإهتمام ببحث جامعية الإسلام والمباحث السياسية للثورة الإسلامية.

إنّ الفارق الأساسي بين المواضيع القادمة والبحوث السابقة هو في كون أن المعيار الأساسي في تعريف ونقد آراء وأفكار العوام والخواص؛ يكمن في بصيرة الأفراد ومعرفتهم الصحيحة في الأُمور السياسية للإسلام؛ وليس بمقدار ما يحملونه من شهادات علمية وعلوم حديثة، أو سيرتهم العملية والأخلاقية ونظرياتهم الشخصية.

إذ ربما نجد أفراداً لا يحملون شيئاً كبيراً من العلم والعلوم الدينية

(١) الأربعون حديثاً، ص ٤٧٣.

والاختصاصات العلمية والمعرفة الدينية الكاملة، لكنهم يعتبرون ضمن الخواص في مجال المسائل السياسية للإسلام والثورة الإسلامية. وبتعبير جامع وعلمي يمكن القول أن نسبة العوام والخواص في المعارف الدينية، والعوام والخواص في مسائل الإسلام السياسية هي نسبة عموم وخصوص من وجه.

إن القدر المسلّم به في هذا البحث، أن الأفراد الذين يتمكنون من نيل درجة الخواص في المعارف الدينية وفي مسائل الإسلام السياسية أيضاً، يتركون تأثيراً عظيماً في المجتمع الإسلامي، بل يستطيعون تولّي مهمة قيادة الخواص في المجتمع، أو تربيتهم في ظل أفكارهم وكمالاتهم المتعالية.

فالإمام الخميني قدس سره تمكن في فترة عمره المبارك من نيل المراتب العليا في العلم وتهذيب النفس، وتمكن بالسير والسلوك والرياضات الشرعية من بلوغ الدرجات العليا في المعارف الدينية وترقي قمم العرفان الإسلامي الأصيل، وتمكّن في مجال السياسة من حمل راية الثورة ومحاربة الظلم والاستبداد، وفي فترة النضال والثورة إهتم بتربية خواص الحق ممّا أدى إلى نهضة الملايين من الناس الفدائيين الملتزمين في جميع مجالات الثورة والجمهورية الإسلامية.

وما نهدف إليه في هذا الكتاب، تحليل ومعرفة فكر العوام والخواص، وبيان ما هو دورهم في المسائل السياسية للإسلام والثورة الإسلامية من وجهة نظر الإمام الخميني قدس سره.

٧ـ تاريخ ظهور فكر العوام والخواص ودورهم في المسائل السياسية

ظهر التفاوت والتقابل في فكر العوام والخواص ودورهم في مسائل الإسلام السياسية بأشكال متعددة وفي فترات مختلفة من تاريخ الإسلام. وقد تحدث الإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّهُ عن كيفية ظهور فكر العوام والخواص في تاريخ الإسلام السياسي وعن دورهم في مناهضة الظلم، فقال:

«منذ صدر الإسلام وحتى الآن، ظهر منهجان وخطان: الأول خط الأفراد الذين يطلبون الدعة والراحة، فكان همهم الوحيد الحصول على لقمة للأكل ثم الخلود إلى النوم والراحة، ومن كان منهم مسلماً يضيف معها عبادة الله، لكن المهم عندهم والمقدم على جميع الأُمور هو الدعة والراحة.

وكان مثل هؤلاء الأفراد موجودون في صدر الإسلام، فعندما عزم الإمام الحسين عليه السلام الاستعداد لسفره العظيم، نصحه البعض، ما الداعي لهذا السفر، فأنت في أمان هنا، يمكنك البقاء والأكل والنوم وطلب الراحة، حتى إن بعضهم كان يُشكل عليه ما الداعي إلى أن تواجه عدّة قليلة من الأفراد هذه القوة العظيمة، وقد كان هذا الخط موجوداً على مرّ التاريخ وما زال حتى الآن.

وقد شاهدنا مثل هؤلاء الأفراد في بداية النهضة الإسلامية، كانوا يقدّمون الدعة والراحة على كل شيء، وكان الواجب عندهم يقتصر على

الصلاة والصيام والجلوس في المنزل لقراءة الأذكار والأدعية.. كان هذا الخط الأول الذي يمثّل مجموعة من الأفراد تقتصر آمالهم على قضاء هذه الأيام القليلة من حياتهم في طلب الراحة والعبادة في المنزل. وكانوا يختصرون الإسلام بالعبادات فقط، كالصلاة والصيام وغيرها؛ بل كثير منهم لم يكن يمتلك فهماً صحيحاً عن الإسلام، ولم يكن يقيّمه حق قدره، وإنما يفكرون فقط بالاسترخاء في المنزل وطرح الإشكالات على الآخرين.

المجموعة الأُخرى هم الأنبياء والأولياء العظام، حيث كانوا يمثّلون مدرسة أُخرى وخطاً آخر، قضوا جميع أعمارهم في محاربة الظلم والفساد في مختلف بقاع العالم. ومن اطّلع على تاريخ الأنبياء وتاريخ الإسلام، وتصفّح سيرة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، يرى أنّهم قد خاضوا رحى الحرب والجهاد منذ بداية ظهورهم وحتى بلوغهم، فالرسول صلى الله عليه وآله منذ حمله رسالة الإسلام وحتى وصوله إلى فراش الموت أو الشهادة قد قضى كل حياته في الجهاد في سبيل الله والدفاع عن أحكام الله، وهكذا كان الأمر بالنسبة لسيرة أميرالمؤمنين عليه السلام وسيرة الأئمة عليهم السلام، وبالطبع كان أبرزهم في هذا المجال سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام. فلو كانت رؤية سيد الشهداء عليه السلام مثل بعض معاصريه، ممّن يرون بقاءه إلى جوار رسول الله صلى الله عليه وآله والاكتفاء بالعبادة، لما حدثت واقعة كربلاء، ولاقتصر الأمر على الدعة وطلب الراحة والانزواء عن

المجتمع والاكتفاء بالدعاء والذكر، ولكان الوضع بشكل آخر.

فلو كان أئمتنا عليهم السلام يهادنون أهل الظلم والطغيان، لحضوا بالإحترام والمنزلة العظيمة عندهم، إذ كان الخلفاء مستعدين لمنحهم ما يبتغون من الإحترام والمنزلة مقابل تخلّيهم عن دعوتهم.. فلو كان هذا فكر الأئمة عليهم السلام لما أصبح مذهبهم مذهباً لمقارعة الظلم على مدى التاريخ.

هناك منهجان ظهرا منذ بداية الخلق ومازالا حتى الآن؛ الأول هو التمسك بالإسلام والوقوف ضد الظلم والطغيان وديكتاتورية القوى الشيطانية؛ والثاني هو المهادنة والرضوخ»[1].

طرح المسألة من قبل الإمام

إن الموج العظيم للثورة الإسلامية والقيادة الحكيمة النبوية للإمام الخميني قدس سره، ودور الشعب الإيراني في النضال والجهاد، قد ترك ردود فعل مختلفة من قبل بعض الأفراد والأحزاب. بعضهم أدرك بدقة هذه الظروف السياسية فسار مع التيار العظيم للثورة الإسلامية؛ والبعض الآخر فضل السكوت؛ في حين اتخذ البعض موقف المعارضة والعداء.

وقد كان الإمام الخميني قدس سره يوضّح للطلاب الشباب، وجود نهجين من التفكير بين رجال الدين في الحوزات الدينية؛ أحدهما نهج العلماء المتدينين الملتزمين والمجاهدين، والآخر نهج الجمود والتحجر وفصل

(١) صحيفة الإمام، ج ١٤، ص ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١.

الدين عن السياسة؛ وبينما كان يذكر الأحداث المتعاقبة للثورة الإسلامية والمواقف التي اتخذها بعض الجهّال أو المعارضين، طرح على المحققين السؤال التالي:

«.. بالأمس كان المتلبسين بلباس الدين يدعون ـ بلا إدراك ـ إلى فصل الدين عن السياسة، ويحرّمون محاربة الشاه؛ وهم اليوم يتهمون المسؤولين في النظام الإسلامي بالتحول إلى الشيوعية! فبالأمس كانوا يعتبرون بيع الخمر والفساد والفحشاء والفسق وحكومة الظالمين، مفيدة لظهور الإمام الحجة ـ أرواحنا فداه ـ واليوم ما أن يروا عملاً مخالفاً للشرع يحدث بدون رغبة المسؤولين في إحدى نقاط البلاد، حتى يصرخوا (وا إسلاماه).

وبالأمس كان المدّعون بأنهم من أهل العلم يحرّمون النضال ضد الظلم، وسعوا بكل جهدهم في خضم مقارعة الديكتاتورية إلى تبديل اضراب النصف من شعبان لفائدة نظام الشاه؛ لكنهم اليوم أصبحوا ثوريون أكثر من قادة الثورة الإسلامية! والولائيون بالأمس ممن أذلوا الإسلام والمسلمين بسكوتهم وتحجّرهم، وتخلوا من الناحية العملية عن مناصرة النبي وأهل بيت العصمة والطهارة، ولم يكن شعار الولاية بالنسبة لهم سوى مادة للارتزاق والكسب، لكنهم أصبحوا اليوم يّدعون أنهم مؤسسوا الولاية ووارثوها، ويتحسرون على الولاية في عهد الشاه! حقاً من هم الذين أصدروا الإتهامات بالولاء لأمريكا وروسيا وذوي الأفكار اللقيطة، والاتهام بالإفتاء بحلّية الحرام وحرمة الحلال، والاتهام بقتل الحوامل

وحلّية القمار والموسيقى؟! ممّن لا مذهب ولا دين لهم أو من المتلبّسين بالدين المتحجرين عديمي المشاعر؟

ومن هم الذين صرّحوا بحرمة محاربة أعداء الله، واستهزؤا بثقافة الشهادة والشهداء، والطعن والتشكيك بمشروعية النظام؟ هل هو عمل (العوام) أم عمل (الخواص)؟»[١].

كانت هذه المرة الأولى التي طرح فيها الإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّه اصطلاح (العوام) و(الخواص) في الأدب السياسي للثورة الإسلامية، حفّزَ من خلاله العلماء والمفكرين والحريصين على الثورة الإسلامية إلى البحث والتحقيق في نهج تفكيرهم وتاريخهم وعملهم. وبعد طرح هذا السؤال من قبل الإمام عام (١٩٨٨م)؛ جدد قائد الثورة الإسلامية آية الله السيد الخامنئي= (سنة ١٩٩٦م) طرح هذا السؤال للبحث والتحقيق[*].

منهج التحقيق وجمع المعلومات

إنّ أكثر مناهج التحقيق شيوعاً في مؤلّفات وأفكار الإمام للوصول إلى

(١) صحيفة الإمام، ج ٢١، ص ٢٨١.

(*) في سنة ١٩٩٦م زار قائد الثورة الإسلامية مركز تدريب الفيلق (٢٧ محمد رسول الله صلى الله عليه وآله) وطرح أمام جميع قادة الفيلق في حديث مفصل موضوع العوام والخواص، ثم نشر هذا الحديث من قبل وسائل الإعلام بعد سنة من إلقائه، مما فتح المجال لتأليف مقالات وكتب عديدة حول هذا الموضوع.

وقد صدر عن دار الولاية ترجمة لدراسة حول الموضوع قام بكتابتها سماحة حجة الإسلام والمسلمين أحمد خاتمي.

رأيه في موضوع معين، هو منهج البحث في الاصطلاحات والمطالب الصريحة المرتبطة بذلك الموضوع، بحيث يتم جمع المطالب المرتبة مباشرة بموضوع معين، ثم توضع لها عناوين مناسبة وتصنّف في فصول تتناسب مع السير المنطقي للبحث.

وبالاستفادة من هذا المنهج في جمع المعلومات تم إنجاز عدد من البحوث من قبل مؤسسة آثار الإمام، منها: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، المرأة في فكر الإمام الخميني، حرس الثورة من وجهة نظر الإمام و... كما صدرت بعض المؤلفات من قبل مؤسسة حرس الثورة للتحقيقات الإسلامية، مثل: أمريكا من وجهة نظر الإمام، الأيام من وجهة نظر الإمام، والحرية من وجهة نظر الإمام و...

أما بالنسبة للمواضيع العامة والكلية التي لم ترد فيها مطالب صريحة وواضحة، أو وردت حولها بعض العناوين الخاصة القليلة، فلا يمكن إتباع نفس منهج البحث السابق للوصول إلى أفكار الإمام وآرائه حولها؛ بل ينبغي الاستفادة من الخصائص العامة التي طرحها الإمام حول تلك المواضيع، ثم نقوم باستخراج الاصطلاحات الأساسية المرتبطة بالموضوع حتى نتمكن من تنظيم المطالب التي تتطابق وتتشابه من الناحية المفهومية أو المصداقية مع العنوان العام والكلي، ممّا يساعدنا على التعرّف على آراء الإمام حول الموضوع مورد البحث والتحقيق.

مثلاً: في سنتي (١٩٨٧م و١٩٨٨م) أشار الإمام في بعض أحاديثه إلى

الخصائص العامة للإسلام المحمدي الأصيل والإسلام الأمريكي؛ فقام قسم التحقيق في مؤسسة آثار الإمام إلى مراجعة جميع مؤلّفات الإمام وخطبه من سنة (١٩٦٢م إلى سنة ١٩٨٩م)، وبالاستفادة من أسلوب إنتزاع المفهوم، أو تعيين المصداق عمدوا إلى تهيئة وتنظيم مجموعة كبيرة من المواضيع حول الإسلام الأصيل حسب الخصائص العامة التي طرحها الإمام قدس سره، وقد تضمّنت مقدّمة هذا الكتاب توضيحاً لمنهج التحقيق، فجاء فيها:

بما أن الإمام قد استفاد من هذين الاصطلاحين في السنين الأخيرة من عمره، لذا يستفاد من الخصائص الأساسية والعامة التي طرحها سماحته حول هذا الموضوع في خطابه الأخير، للبحث عن خصائص هذين الاصطلاحين في جميع مؤلّفاته وخطبه، وذلك لنصل بوضوح إلى رأيه في الموضوع [١].

وقد استفدنا من هذا المنهج في التحقيق وجمع المعلومات لتنظيم مطالب موضوع العوام والخواص؛ لأن موضوع العوام والخواص في المسائل السياسية للإسلام والثورة الإسلامية من وجهة نظر الإمام الخميني قدس سره، هو موضوع عام وكلّي لما يتضمنه من عناوين كثيرة؛ نظراً لبعض الخصائص التي طرحها الإمام في مقدّمة سؤاله الذي طرحه في بيانه

(١) إسلام ناب در كلام وپيام إمام خميني، ص ٦. (مقدمة الكتاب).

عن رجال الدين (سنة ١٩٨٨م). وفي هذا البحث تمّ مراجعة مؤلّفات الإمام وخطبه لاستخراج الخصائص العامة للموضوع، ثم قمنا بتصنيف المواضيع التي تبيّن مقدّمة سؤال الإمام، وتنظيمها بالمنهج النقلي التحليلي، ثم أشرنا إلى المطالب التي طرحها الإمام حول جهاد رجال الدين ونضالهم في الأحداث التي وقعت على مدى القرن الأخير، بما يتناسب مع موضوع البحث.

كما استفدنا في كتابة مواضيع البحث وانتخاب العناوين المناسبة من المطالب المهمة التي جاءت في الخطاب الجامع لقائد الثورة الإسلامية حول موضوع العوام والخواص، إذ فتح هذا الخطاب المهم أفاقاً واسعة، أمام المحققين والمؤلّفين للوصول إلى جواب سؤال الإمام، الذي طرحه سماحته وبقي مسكوت عنه إلى الآن، ليكون تفسيره وتحليله مطابقاً لأفكاره قُدِّسَ سِرُّه في هذا الموضوع.

الفصل الثاني: خواص الحق

تعريف

هناك تعريف دقيق ومحدد لبعض الكلمات والاصطلاحات السياسية التي جاءت في مؤلّفات الإمام الخميني ﰆ، لكن هناك بعض العناوين والاصطلاحات لم يوضع لها تعريف دقيق، يمكن أن نضع ذلك من خلال مراجعة مؤلّفات الإمام في المواضيع المختلفة وبالاستفادة من الانتزاع الموضوعي أو المفهومي لبعض التراكيب والأوصاف. ومن بين هذه الاصطلاحات اصطلاح (خواص الحق) في المسائل السياسية والاجتماعية للثورة الإسلامية، التي لم يطرح لها الإمام أي تعريف دقيق من الناحية اللغوية أو الاصطلاحية؛ لكن ومن خلال الاستفادة من منهج جديد في دراسة كلمات الإمام وأحاديثه، وتحليل بعض الاصطلاحات والعبارات والتراكيب الأدبية والسياسية التي استعملها الإمام ﰆ في وصف بعض الأفراد ممّن تحملوا دائماً المصاعب الكبيرة التي واجهت الثورة الإسلامية في جميع المجالات؛ يمكن وضع تعريف دقيق لاصطلاح (خواص) الحق.

من الاصطلاحات التي يمكن أن تساعدنا في وضع تعريف لخواص

الحق في فكر الإمام، هي: (رجال البشرية الشجعان) [١]، (البحر المتلاطم من الرجال المتعهدين) [٢]، (المجموعة المليونية الواعية من أبناء الشعب المشاركة في جميع المجالات) [٣]، (العمود الراسخ القوي للثورة) [٤]، (الشخصيات التي خلقت هذه الملحمة) [٥]، (قامت الجمهورية الإسلامية ببركة تضحياتهم) [٦]، (الذين أسسوا مدرسة العشق والشهادة) [٧]، (الذين رووا من كوثر عاشوراء والمنتظرون وراثة الصالحين) [٨].

وبالطبع فإن خواص الحق في الفكر السياسي للإمام يصنّفون إلى عدّة درجات وطبقات، منهم:

أولاً: جميع الطبقات المختلفة من أبناء الشعب الذين شاركوا في جميع مراحل وظروف الثورة الإسلامية، ووقفوا إلى جانب قائدهم في جميع الميادين والظروف، وضّحوا في سبيل ذلك بالغالي والنفيس.

ثانياً: طبقة العلماء والمثقفين الإسلاميين المتعهدين، الذين أدركوا

(١) صحيفة الإمام، ج٢٠، ص ٣٤٢.
(٢) نفس المصدر، ج١٥، ص ٣١.
(٣) نفس المصدر، ج٢١، ص ٤١٠.
(٤) نفس المصدر، ج٢٠، ص ٣٣٣.
(٥) نفس المصدر، ج٢١، ص ٤١٠.
(٦) نفس المصدر، ص ٤١٢.
(٧) نفس المصدر، ج٢٠، ص ٣٣١.
(٨) نفس المصدر، ص ٣١٨.

بدقة، الظروف المعقّدة للثورة، فعمدوا إلى تنوير أفكار الشعب وتوعيتهم لتنفيذ أوامر وتوصيات قائد الثورة الإسلامية.

ثالثاً: طبقة رجال الدين المتعهدين الذين يعتبرون حملة مشعل هداية المجتمع، والقادة السياسيين والمعنويين للثورة، وحملة الرسالة الإلهية؛ بل يمكن القول أن أغلب كلمات الإمام حول خواص الحق كانت تشير إلى هذه الطبقة.

يقول قائد الثورة الإسلامية في تعريفه لخواص الحق:

إنّ الأفراد الذين يعملون عن فكر وفهم ووعي وإتخاذ القرارات المناسبة لهذا العمل، ينتخبون عادةً طريقاً معيناً ثم يسيرون في هذا الطريق،.. أي أنهم لا يقيمون بعمل، ولا يتخذون موقفاً معيناً، ولا ينتخبون طريقهم إلاّ عن فكر وتحليل، فهم يفهمون ما يريدون ثم يقررون على ضوء هذا الفهم... فمن يتحلّى بهذه الصفات؟ هل هم طبقة خاصة؟ كلا، في محيط الخواص الذي نتحدّث عنه، يوجد أفراد متعلّمون، كما يوجد بينهم أفراد غير متعلّمين، لكنّهم ضمن طبقة الخواص، الذين يدركون ماذا يفعلون، ويعملون بعد تشخيص واتخاذ القرار المناسب، حتى لو لم يتعلّموا، ولم يذهبوا إلى مدرسة، ولم يحصلوا على شهادة، لكنهم يدركون ويفهمون الأمر [١].

(١) گزيده أخبار (منتخب الأخبار)، الإدارة السياسية لممثلية الولي الفقيه في حرس الثورة، رقم ٦١١، ص ٦ و٧، ١٩٩٦/٨/١٨.

الخصائص

إنّ المؤمنين الذين يمتلكون المعرفة الدينية والسياسية والالتزام المختلط بالغيرة الدينية، يتمتعون بالحصانة اللازمة للدفاع عن قيم الإسلام العليا. فهم لا يتحملون الاضطرابات والبدع السياسية والاجتماعية في المجتمع الإسلامي، ويشعرون دائماً بالمسؤولية لمحاربة الظلم وتحقيق حاكمية الإسلام الأصيل، إذ أن مهمتهم في استمرار رسالة الأنبياء قد تبلورت في أذهانهم وأفكارهم النابذة للكفر والطغيان.

فهم بتشخيصهم (الصحيح) من (السقيم) و(النقي) من (الشائب) في المعادلات السياسية والدولية المعقّدة، تمكنوا من إحباط مؤامرات الأعداء وعمالهم في البلاد. إنّ لمثل هؤلاء الأفراد في فكر الإمام الخميني قدس سره خصائص وصفات معينة، سنشير إلى أهمها:

١ـ القدرة على تحليل الأحداث

إنّ القدرة على التحليل الدقيق والواعي للأحداث والمسائل السياسية اليومية، والتحليل الصحيح لجميع الأحداث والوقائع المهمة، تساعد أصحابها على التخلّص من الشبهات وتجنّبها؛ لذا فإن الأفراد الذين يتتبعون الأحداث بدقة وبصيرة، لا يقعون أبداً في فخ الشبهات.

الإمام الصادق عليه السلام يقول: «العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس» [١].

---

(١) أصول الكافي، الكليني، ج١، ص ٢٧.

فبعض الأفراد يمتلكون المعرفة الكاملة بالأحداث والظروف السياسية، ويدركون الظروف المعقّدة التي تمرّ بالمجتمع نتيجة للتحولات السياسية المختلفة، ممّا يحصّنهم من الوقوع في الخطأ والضلال.

الإمام الخميني قدس سره يتحدّث عن قدرة أمهات الشهداء على التحليل ورؤيتهن الصحيحة للأحداث في فترة الثورة، فيقول:

«إنّ إحدى هذه الأمهات وقفت في جنة الزهراء [١]، وقالت: إنّ شجرة الحرية تحتاج إلى السقي، وقد سقاها ولدي بدمه؛ فنحن لدينا مثل هذه الأمهات الشجاعات» [٢].

«الأمهات اللواتي كان لديهن أربعة أولاد، استشهد ثلاثة منهم، ومازلن يطلبن إرسال الرابع ليسشهد أيضاً في سبيل الله» [٣].

إنّ الفهم الصحيح لمشاكل الثورة والمصاعب التي تواجهها وتأثيراتها على المجتمع، يعتبر من أهم صفات خواص الحق حتى لا يتعرضوا أبداً للشك والترديد في تحقيق الأهداف العليا للثورة الإسلامية.

يقول أحد المسؤولين في مذكراته:

---

(١) مقبرة خارج مدينة طهران، تضم الكثير من شهداء الثورة والحرب والكثير من الشخصيات البارزة كالشهيد بهشتي ورجائي... وعلى رأسهم مؤسّس الثورة الإسلامية في إيران الإمام الخميني قدس سره.

(٢) صحيفة نور، ج٢، ص ٢٠٨.

(٣) صحيفة الإمام، ج٦، ص ٢٢٩.

«قبل شهر أو شهرين من انتصار الثورة، ذهب أحد الأصدقاء إلى قم، ونقل لي: في تلك الأيام كان الناس يتهيئون لفتح محلاتهم بعد أن انتهوا من إضراب لفترة طويلة، فرأيت رجلاً كبير السن يفتح محله، وكان ممتلأً بالبطيخ المتعفّن لأن محله كان مغلقاً لفترة طويلة كسائر الناس. فنظرت إلى ملامح وجهه وحالته التي تدل على الفقر، بعد أن تلف جميع ما لديه من البطيخ؛ فخطر في ذهني أن أساعده ببعض المال فخشيت أن يكون ذلك إهانة له، فقررت أن أشتري منه عدداً من البطيخ لمساعدته، فدخلت المحل وقلت: بكم سعر هذا البطيخ؟

زن لي بطيختين.

فنظر لي الرجل الكبير، وتبسمّ قائلاً: نحن لا نبيع الخميني!

فانظروا إلى عزة النفس، والأخلاق وهذا الوعي» [١].

لقد شاهدنا كثيراً مثل هذا المنهج التحليلي الصحيح المصحوب بالبصيرة في الأحداث والوقائع المهمّة، طيلة فترة ملحمة السنوات الثمان من الدفاع المقدّس.

وعن المشاركة الفعالة والحماسية لمختلف طبقات المجتمع في جبهات القتال، يقول الإمام الخميني:

«لعلنا لن نجد نظيراً لهذا الأمر في كل بقاع العالم ولا على مدى

(١) جريدة اطلاعات، ٢٠٠/٨/١٧م، ص ١٢ (حديث مير حسين موسوي في مؤسسة الدراسات الدينية والاقتصادية).

التاريخ أن تشترك جميع طبقات الشعب في القتال من الأطفال، والشباب والنساء والعجائز، والمتزوجين حديثاً» [١].

«وفي كثير من الأحيان يتعجب الإنسان عندما يرى وضع هؤلاء الناس وقد فقد أحدهم إبنه الشاب، لكنه مازال يقول، عندي شاب آخر أرسله في سبيل الله، وعندي طفل سيكبر إن شاء الله ويستشهد في سبيل الله» [٢].

إنّ القدرة على تحليل الأحداث والوقائع، تؤدّي إلى توضيح الحقائق السياسية الاجتماعية لهؤلاء الخواص. فمعظم الشعب الإيراني، قد تمكّن في حربه ضد الاستعمار العالمي من فهم مؤامرات الأعداء وما يبتغونه من حصارهم الاقتصادي؛ إذ يشير الإمام إلى أحد هذه المناهج التحليلية للتخلّص من السيطرة الاقتصادية للأعداء، فيقول:

«بالأمس نقل لنا أن الشخص الفلاني من أهل منطقة لم يصلها شيء من الثقافة والعلم، يقول سنزرع هذه الأرض حتى نتحرر من أسر أمريكا وقيودها» [٣].

وحول البصيرة والرؤية القائمة على التحليل الصحيح في فترة الدفاع المقدس، قال القائد الخامنئي =:

«لعل معظم المجاهدين لم يقرؤوا صفحات قليلة من الكتب السياسية،

(١) صحيفة الإمام، ج١٤، ص ٢٦٤.

(٢) المصدر السابق، ج٢٠، ص ٤٩٦.

(٣) المصدر السابق، ج١٥، ص ٤٣٤.

كما أن الفلاحين في مدينة (مشكين شهر) الذين كانوا يقولون لي: لقد زرعنا القمح في أرضنا وجئنا للمشاركة في الحرب، كلّهم لم يكونوا من أهل الكتاب والدرس والقلم، ولم يكونوا من نيري الفكر، لكنهم كانوا واعين ونيري الفكر بالمعنى الحقيقي للكلمة، إذ كانوا يدركون جيداً لماذا عليهم تقديم مثل هذه التضحيات»[(١)].

وقد شاهدنا الكثير من هذه النماذج في فترة الثورة والدفاع المقدّس، حيث تربى عدد هائل من أبناء الشعب على البصيرة والتحليل الصحيح للأحداث في السير التكاملي للثورة الإسلامية.

٢ـ الوعي السياسي

لقد وضع الحاقدون من أعداء الإسلام سياسات معقّدة طويلة الأمد لمواجهة ظاهرة انتشار الإسلام في مختلف بقاع العالم، والحيلولة دون استقرار نظام الجمهورية الإسلامية، ولأجل هذا الهدف استفادوا على مر الزمان من أساليب مختلفة لتنفيذ هذه السياسات؛ لذا يسعى المؤمنون الخواص بوعيهم السياسي ودرايتهم إلى إبطال مخططات الأعداء ومؤامراتهم.

الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله يقول: «المؤمن كَيِّسٌ فَطِنٌ حَذِر»[(٢)].

---

(١) در مكتب جمعة (في مدرسة صلاة الجمعة)، ج٢، ص ٣٨٨.

(٢) بحار الأنوار، ج٦٦، ص ٣٠٧، ح ٤٠.

والإمام علي عليه السلام، يقول: «من نامَ عَنْ عدوِّه أنبهتهُ المكايدُ» (١).

فمنذ قيام الثورة الإسلامية وحتى الآن، تمكّن الخواص بذكائهم ووعيهم السياسي وبعد نظرهم من إحباط كافة الخطط الاستراتيجية للأعداء للقضاء على هذه الثورة.

والإمام الخميني قد أكد في أكثر خطبه وبياناته السياسية أن مشاركة الشعب وتضحياته في جميع الظروف المعقّدة للثورة والحرب، ومشاركتهم في كافة المظاهرات والانتخابات المختلفة التي أقيمت في نظام الجمهورية الإسلامية، لهو دليل على ذكاء هذا الشعب ووعيه السياسي، وأهم العوامل التي أدت إلى تحقيق الانتصار ورفعة هذا الشعب وسموه في المحافل الدولية، فالإمام يقول:

«إنّ وعي الشعب في الظروف الراهنة يعد أحد عوامل انتصارهم على الباطل» (٢).

ومن الصفات التي تدل على ذكاء المؤمنين الملتزمين ووعيهم السياسي، هو معرفتهم بمختلف جوانب الأحكام الإسلامية، وإطلاعهم على الأساليب المعقّدة لإدارة المجتمع الإسلامي وغير الإسلامي، وقدرتهم على طرح الحلول المناسبة المعقولة والممكنة لتجاوز المعضلات السياسية والثقافية والاجتماعية في المجتمع. فالإمام يقول بهذا الصدد:

---

(١) غرر الحكم، آمدي، ج٥، ص ٣٤٤.

(٢) صحيفة الإمام، ج٢١، ص ٢٣٣.

«على المجتهد أن يتمتع بالذكاء والوعي والفراسة اللازمة لإدارة مجتمع إسلامي كبير وحتى غير إسلامي» (١).

ومن العلائم الأخرى لذكاء خواص الحق ووعيهم السياسي التي أشار إليها الإمام الخميني هي: معرفتهم الدقيقة بالأحداث السياسية، ومعرفتهم بالأحزاب والشخصيات السياسية، وإحاطتهم بالأحداث والوقائع الاجتماعية، ومعرفتهم بأساليب الأعداء ومخططاتهم، ودقّتهم في عملهم ونشاطاتهم المختلفة (٢).

٣. الإقتداء بسيرة الأئمة المعصومينعليهم السلام

لقد بلغ الأئمة المعصومين عليهم السلام أعلى درجات التكامل الإنساني، فأصبحت حياتهم وسيرتهم مثالاً يحتذى به من قبل كافة مسلمي العالم خاصة العلماء والسياسيين الإسلاميين.

والقرآن الكريم يتحدث عن كمال الرسول الأكرمصلى الله عليه وآله، وكونه مثلاً ونموذجاً أعلى في عالم الخلق، إذ تجتمع في شخصيته جميع صفات التكامل الإنساني من القيادة، والقدرة على الحكم وإدارة المجتمع:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللهَ وَالْيَوْمَ

(١) صحيفة نور، ج٢١، ص ٩٨.

(٢) للتعرف أكثر على رأي الإمام في هذا الموضوع راجع: صحيفة الإمام (الفارسية)، ج١٠، ص ٣٠٦؛ ج١٢، ص ٤٦٨؛ ج١٤، ص ٢٩٧؛ ج١٦، ص ١٦٠ و ١٧٠.

الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا ﴾[١].

يقول الإمام الخميني حول الاقتداء بسيرة المعصومين عليهم السلام: «علينا الاقتداء بسيرة عظمائنا وأئمتنا، وماذا قدّموا للإسلام والمسلمين، وماذا أرادوا أن يقدّموا لهم»[٢].

ومن بين المسائل التي يلتزم بها خواص الحق في إتباع الأئمة المعصومين عليهم السلام والتأسي بسيرتهم، هي: إصلاح الذات وتربية النفس، ومحاربة الظلم والطغاة، والاستقامة والثبات على طريق إبلاغ الرسالة الإلهية، وهداية الناس إلى الحق، وتحمل الآلام والصعوبات، وعدم الخوف من أعداء الإسلام، والتدخّل في السياسة، والسعي لتشكيل الحكومة وتطبيق الأحكام الإلهية.

وعن مجاهدي الإسلام الذين نبذوا الظلم والطغيان وناضلوا ضد النظام الشاهنشاهي الظالم، قال الإمام الخميني:

«لقد وقف مجاهدوا الإسلام بوجه نظام الشاه، واشتركوا في صفوف المقاتلين والمحاربين، وأدوا ما عليهم من واجب وتكليف، وعملوا بقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسنته، وقد اقتدوا ولا زالوا يقتدون بسيرة سيد الشهداء عليه السلام»[٣].

ونجد في فكر الإمام، أن إتباع السيرة العملية لأهل البيت عليهم السلام في كافة

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(٢) صحيفة نور، ج٤، ص ١٧.

(٣) نفس المصدر، ص ٤٧.

المجالات وجميع مراحل النضال والجهاد وطيلة فترة الحكومة، تعدّ من أهم وأقوى الأدلّة والحجج الشرعية التي يستند عليها خواص الحق.

وحول المحافظة على النظام الإسلامي في مواجهة الهجمات المستمرة للأجانب، يقول الإمام الخميني:

«نحن أتباع أولئك الرجال الذين تشير الروايات والتاريخ إلى أنهم كانوا يتسامون كلّما اقترب سيد الشهداء عليه السلام من الشهادة في يوم عاشوراء، وكان أبناؤه وشبابه يتسابقون..» [1].

وحول البطولات التي سطّرها المجاهدون في مراحل الثورة وفترة الدفاع المقدّس اقتداءً ببطولات سيد الشهداء وأصحابه في يوم عاشوراء، يقول الإمام:

«لقد ضحى جميع أبناء شعبنا في سبيل الله من الطفل الرضيع وحتى الشيخ الكبير، مقتدين بتضحيات إمامهم العظيم سيد الشهداء عليه السلام» [2].

وحول استمرار هذا الخط في نظام الجمهورية الإسلامية يقول قائد الثورة الإسلامية:

«المهم أن نحافظ على تمسّكنا بالإسلام، وعدم الرهبة والخوف من أعداء الله والإسلام، وقد تعلّمنا هذا الدرس من أمير المؤمنين عليه السلام ومن تلميذه وابنه البار إمامنا العزيز» [3].

---

(١) صحيفة الإمام، ج١٥، ص ٩.

(٢) المصدر السابق، ج١٧، ص ٥٢.

(٣) حديث ولايت، ج٣، ص ٢٩٣.

٤ ـ الاستقامة والتفاني

إنّ ثبات نخب المجتمع الإسلامي على طريق تحقيق القيم المتعالية والنظريات الإسلامية الأصيلة، وعدم التراجع عن مواقفهم الأصولية، يعدّ من أهم وأعظم علامات ورموز نجاح الخواص وموفقيتهم. وإن ثمرة الانتصار على الباطل وسمو القيم الإسلامية، مرهون باستقامة أولئك الرجال الذين أركعوا الأعداء بجدّيتهم وتفانيهم.

وخواص الحق يضعون دائماً آية ﴿ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ نصب أعينهم، ويقاومون كافة التهديدات التي تواجههم في طريق إحياء الدين وتحقيق أهدافهم الإلهية، ولا يستسلمون أبداً للأخطار والعراقيل التي تواجههم.

ويتحدّث الإمام الخميني عن استقامة أبطال الثورة الإسلامية فيقول: «مجموعة منهم قد أعدوا أنفسهم منذ البداية لمواجهة الظلم، وقد كانوا يدركون منذ البداية ما تتطلبه هذه المواجهة من جهد كبير وما فيها من شهادة وحبس، حتى أن بعضهم قد تعرّضوا للسجن وتحمّلوا أنواع التعذيب، وما أن خرجوا من السجون حتى عادوا مرة أخرى للجهاد ومواجهة [النظام الظالم]» (١).

إنّ استقامة وثبات وبطولة المجاهدين في فترة الحركة الدستورية،

---

(١) صحيفة نور، ج١٥، ص ٤٦.

وسعيهم وتفانيهم حتى آخر لحظات حياتهم من أجل القضاء على النظام الاستبدادي وإقامة النظام الدستوري الإسلامي المطابق للأصول الشرعية، تعدّ من أبرز خصائص وصفات قادة الحركة الدستورية المشروعة، وقد أشار الإمام إلى هذه الصفات:

«لقد أصرّ المرحوم الشيخ فضل الله على ضرورة أن تكون الحركة الدستورية شرعية وتوافق القوانين الإسلامية» (١).

وقد اعتبر الإمام أن أهم عوامل تقدّم النهضة الإسلامية، هي ضمان الاستمرار في طريق الحق، وتحمّل الصعوبات والأخطار، والثبات في مواجهة المشاكل والأحداث التي يفتعلها الأعداء، وقد قال بهذا الصدد:

«لقد وجد الشعب طريقه، وهو يسير فيه الآن بجد وقدرة كاملة، وبالطبع سيواجه مصاعب كثيرة، وأحداث وأخطار محدقة؛ لكنّهم ماداموا من أهل الحق ويريدون السير في طريق الحق، فعليهم أن لا يهنوا ولا يتراجعوا قيد أنملة، بل يجب الاستمرار في هذا الطريق بكل طاقتهم» (٢).

ومن المشاكل التي تواجه خواص الحق والأفراد المؤثرين في المجال السياسي والاجتماعي، هي ما يبثه الأعداء من الشائعات واتهامات كاذبة لإضعافهم وإبعادهم عن التأثير في المجال السياسي والأمور الاجتماعية. وفي هذا المجال يؤكد الإمام على ضرورة تحمل الخواص لمثل هذه

---

(١) صحيفة الإمام، ج١٣، ص ١٧٥.

(٢) المصدر السابق، ج١٥، ص ٧.

التهم والشائعات، فيقول:

«يجب أن لا نبتعد ولا نترك ساحة العمل نتيجة لما نتعرّض له من كذب وإساءة وسب وتشويه للحقائق»[١].

إنّ لتفاني خواص الحق في مواجهة المصاعب والظروف المعقّدة التي تعترضهم في أداء تكليفهم الشرعي والسياسي له عدّة درجات ومراتب مختلفة، أصعبها المحافظة على سمعتهم وشرفهم عند دخولهم في مجال السياسة للمحافظة على مكاسب الثورة الإسلامية.

وحول هذا الموضوع يقول قائد الثورة الإسلامية:

«إنّ الأفراد من أهل المعنى، وأهل الحكمة والدقة، يدركون جيداً أن البقاء على قيد الحياة، والعيش، والسعي في بيئة معينة، يكون أحياناً أصعب بكثير من التعرّض للقتل أو الشهادة، والالتحاق بالله تعالى»[٢].

٥ـ الشجاعة

إنّ قيمة وفعالية المعرفة الصحيحة والبصيرة الكاملة لخواص الحق تظهر في شجاعتهم وتصميمهم؛ فالإمام يرى أن عنصر الشجاعة في الشخصية المعنوية للنخبة في المجتمع، هي منشأ جميع التحولات العظيمة في التاريخ.

---

(١) صحيفة الإمام، ج١٨، ص ٢٧٥.

(٢) گزيده أخبار، رقم ٦١١، ص ١٥.

ومن صفات المؤمنين المضحّين عدم الخوف من التهديدات العسكرية والسجن والتعذيب، وبث روح الشجاعة والحماس في الشعب، حتى يتمكّنوا من المحافظة على البنيان المرصوص لأهل الحق في المجتمع للوقوف أمام هجوم الأعداء.

ويعتبر الإمام الخميني عنصر الشجاعة أحد الصفات المهمّة عند رجال الدين الملتزمين، ويعتبره عاملاً أساسياً في فعالية وثبات هذه الطبقة المؤثرة في المجتمع، والتي أدت دوراً مهماً في ازدياد حب الشعب لرجال الدين (١). كما أشاد الإمام بالمواقف الثابتة والمبدئية لمسؤولي النظام الإسلامي والشعب البطل في مواجهة التهديدات السياسية لنظام الاستكبار العالمي (٢).

ومن أهم الأحداث التي أظهرت بوضوح شجاعة خواص الحق، هي قضية الإنذار الذي أعلنته دولة الإتحاد السوفيتي السابق لإيران، ومعارضة الشهيد مدرّس لهذا الإنذار. وقد كان الشهيد مدرّس من أبرز خواص الحق في تاريخ إيران المعاصر، حيث تميزت حياته بالجهاد والاستقامة والشجاعة، وكان دائماً مورد تجليل وتعظيم من قبل الإمام الخميني قدس سره.

في سنة ١٩٥٤ احتلت روسية بعض المناطق الإيرانية، وفرضت على الحكومة الإيرانية دفع كلفة المحافظة على هذه المناطق إلى الحكومة

(١) صحيفة الإمام، ج٢١، ص ٢٧٧.

(٢) نفس المصدر، ج١٨، ص ٣٠ و٣١.

الروسية، وأمهلت الحكومة الإيرانية مدة ٤٨ ساعة فقط للقبول بهذا الشرط وإلاّ ستحتل العاصمة طهران.

وفي تلك الفترة تم انعقاد مجلس الشورى الوطني، وبعد حضور أعضاء المجلس الذين أصبحوا في حيرة من أمرهم وعاجزون عن إتخاذ الموقف المناسب، وفي تلك اللحظة وبين حيرة الحاضرين وتعجّبهم نهض الشهيد مدرّس، وتكلّم باختصار وبهدوء فقال: أيّها السادة إذا كانت مشيئة الأمور أن يسلبوا منّا حريتنا واستقلالنا بالقوة، فليس من اللائق أن نوقّع على تأييد ذلك بأيدينا، ثم صرخ فجأة: كلا! لن نستسلم أبداً ولن نخشى مثل هذه التهديدات [1].

وعن هذا الموقف الشجاع لهذا المجتهد الملتزم العارف بمقتضيات الزمان، والذي أدّى موقفه إلى بث روح الشجاعة في نفوس أعضاء المجلس المرعوبين لرفض هذا الإنذار يقول الإمام الخميني:

«وقف رجل الدين هذا بأيدي مرتجفة خلف منصة الحديث، وقال: إذا كان لابد من القتل، فلماذا نقتل أنفسنا بأيدينا؟ وصوّت بالرفض، ممّا بث الجرأة عند بقية الأعضاء فصوتوا بالرفض أيضاً، وبذلك ردّوا هذا الإنذار، ولم يستطع (الروس) عمل أي شيء بعدها» [2].

إنّ يقظة علماء المسلمين ومشاركتهم في المجال السياسي الاجتماعي

(١) مدرس مجاهدي شكست ناپذير، عبد العلي باقي، ص ٣٥ ـ ٣٦، وبتصرف وتلخيص.

(٢) كوثر، ج١، ص ٣١١.

للدفاع عن القيم الإسلامية وكرامة الإنسان، هي مرهونة بالمواقف الشجاعة التي يتّخذها علماء الدين من أصحاب الضمير الحي(*).

٦. طلب الشهادة

إنّ المؤمنين الملتزمين وفي الظروف التاريخية الحساسة التي يتعرّض فيها كيان الإسلام للخطر، يقفون في ساحات المواجهة للمحافظة والدفاع عن الدين الإسلامي، ويضحّون بالغالي والنفيس لنشر القيم الإسلامية والإلهية في المجتمع الإسلامي، ويطلبون الشهادة والانتقال إلى الحياة الأبدية.

ويعتقد الإمام الخميني أن العودة الجديدة للإسلام في القرن المعاصر لهي رهينة بشهادة أولئك المجاهدين الأبطال وشجاعتهم وتضحياتهم، ويعتقد أن التضحية بالنفس والشوق إلى الشهادة في سبيل إعلاء كلمة الحق هي من الصفات المهمّة لخواص الحق. وحول جهاد الشعب الإيراني ضد النظام الطاغوتي وحبه للشهادة يقول الإمام:

(*) الإمام الخميني قدس سره وهو قائد خواص الحق في المجتمع الإسلامي يُعتبر من أشجع علماء الدين في القرن المعاصر، فهو في بداية صراعه مع نظام الشاه الظالم كان يقول: «أنا لست من أولئك الذين يصدرون حكماً ثم يغفون من بعده ينتظرون أن يُطبق الحكم وحده! بل أسعى لتطبيقه وتأييده؛ ولا سامح الله لو اقتضت مصلحة الإسلام أن أتكلم فسأتكلم وأعمل على تنفيذه، ولن أخشى أحداً بحمد الله تعالى؛ والله لم أشعر بالخوف حتى الآن». كوثر، ج١، ص١٢٠.

«.. المرأة والرجل، الصغير والكبير، كانوا كلّما اقتضى الأمر نزلوا إلى الشوارع ووقفوا لمواجهة البنادق دون خوف أو رعب، وكانوا يقدّمون صدورهم ويقولوا: إضرب؛ فلابدّ من القول أن اللحم والدم قد انتصر على الدبابة والبندقية» [1].

وفي بيان الإمام الذي أصدره في أربعينية شهداء السابع عشر من شهر (شهريور) في طهران، يقول في وصفه لشوق المجاهدين للشهادة:

«حتى صغارنا من تلامذة الإبتدائية في سن السابعة والثامنة كانوا يضحّون بأنفسهم وينذرون دماءهم في سبيل الإسلام والبلاد. فهل رأيتم مثل هذا على مرّ التاريخ؟ واليوم تنزل تلك النساء البطلات وهنَّ يحملن أطفالهن بين ذراعيهن لمواجهة بنادق ودبابات جلادي النظام» [2].

لقد كان الشوق إلى الشهادة والاندفاع إلى الموت من قبل المجاهدين الأبطال من أهم عوامل الانتصار الذي تحقق في فترة الدفاع المقدس؛ فالشهادة من أبرز الصفات التي كان مجاهدو الإسلام يفتخرون بها دائماً. وقد بيّن الإمام الخميني قدس سره ذكريات كثيرة عن شوق الشباب والكبار للشهادة، وكثيراً ما مجّد في كلامه هذه الروحية والصفة العظيمة، وسنذكر في هذا القسم عدداً من هذه الذكريات التي أشار إليها:

«جاء أحد الشباب وقال: قُتل شقيقاي، وأريد الذهاب أيضاً فقلت: أيها

(١) صحيفة الإمام، ج٦، ص ٢٢٨.

(٢) المصدر السابق، ج٣، ص ٥١٢.

الشاب هذا يكفي، فقد رحل أخواك. فأخذ بالبكاء» [١].

وكذلك يتحدّث عن أحد الشباب المعوّقين جاء لمقابلته، فقال:

«.. فَقَدَ كلا قدميه، جاءوا به وهو ملقى على ظهره، لكنه مع ذلك كان يقول: ادعو لي بالشهادة» [٢].

إنّ الثبات على طريق الحق وعدم الهزيمة على مدى التاريخ، كان مرهوناً بشجاعة أولئك الرجال الذين يتلذذون بالشهادة ويسقون بدمائهم شجرة الإسلام العظيمة.

٧. إتخاذ العبَر من التاريخ

إنّ المحققين والمحللين يكتسبون العِبَر المهمّة عند دراستهم للأحداث والوقائع التاريخية. حتى أن الإمام يعتبر التاريخ المعلّم الأول للإنسان [٣]، ويوصي دائماً النخب والمثقفين بالدراسة الدقيقة لتاريخ الأنبياء وصدر الإسلام وبعض القرون الأخيرة والتاريخ المعاصر، حتى يكتشفوا نقاط ضعف وقوة الثورات والحركات الثورية، ويقفوا على برامجها الإصلاحية.

فهذه الدراسة تساعدهم على معرفة الأسباب التي تؤدّي إلى فشل الحكومات الصالحة، وأسباب تسلّط الطغاة على الحكم؛ ثم يعتبرون من هذا الفشل والهزائم لإيجاد السبل المناسبة لتوعية الشعوب وإيقاظها، حتى

---

(١) صحيفة الإمام، ج١٨، ص ٣١٤.

(٢) المصدر السابق، ج١٤، ص ٥٢٤.

(٣) المصدر السابق، ص ٤٩١.

يتجنبوا اشتباهات الماضي.

يقول الإمام علي عليه السلام حول الاعتبار من الأحداث التاريخية:

«إنَّ مَنْ صَرَّحَتْ لَهُ الْعِبَرُ عَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ من المثلاتِ حجزتهُ التَّقوى عَنْ تَقَحُّمِ الشُّبهاتِ» (١).

إنّ الإمام قدس سره يوعز أسباب الكراهية الشديدة التي يحملها الشعب الإيراني للنظام الظالم في فترة غليان الثورة، إلى التجربة المرّة التي عاشها الشعب طيلة فترة الحكم البهلوي. وعن أسباب الثورة المليونية للشعب أجاب الإمام الصحفيين فقال:

«إنّ الشعب قد فهم طيلة السنوات الماضية ماهية الشاه الحقيقية، ولن ينخدع أكثر بعد ذلك بأفعاله وكلامه» (٢).

فمن وجهة نظر الإمام أن العبر التي اكتسبها الشعب الإيراني البطل من تاريخ الماضين، تتجلى بمواقفه القوية والقاطعة التي اتخذها في مواجهة التهديدات المتعدّدة للاستكبار العالمي.

«... كانوا يظنّون أنّهم بصيحة واحدة يستطيعون أن يفعلوا بإيران ما يريدون، وكانوا يظنون أن هذا كزمان القاجار! وأن هذا كزمان البهلوي!..» (٣).

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٦، ص ٣٢.

(٢) صحيفة الإمام، ج٥، ص ١٥٥ وص ٢٣٢.

(٣) المصدر السابق، ج ٢٠، ص ١٦١.

الإمام الصادق عليه السلام يقول: «لا يُلسع العاقلُ مَنْ جُحْرٍ مَرَّتَين» [١].

وقد كانت الحوادث التاريخية المُعَبِّرة في القرن أو القرنين الأخيرين من بين المسائل التي كان الإمام يؤكد عليها ويشير إليها دائماً.

ومن الأحداث التاريخية في هذا القرن التي استفاد منها عقلاء المجتمع العبر الكثيرة؛ يمكن أن نذكر ما حدث من انحراف في الحركة الدستورية بفعل السياسيين المخادعين المحترفين التابعين للغرب، وما قاموا به من إبعاد رجال الدين عن المجال السياسي؛ وما حصل في الحركة الوطنية لتأميم النفط والأحداث التي أعقبتها؛ وغيرها من الأحداث التاريخية الأخرى.

وقد كان الإمام يحذّر دائماً خواص المجتمع بضرورة الإهتمام بالحوادث التاريخية ودراستها بدقة، حتى يتجنبوا تكرار الحوادث المرّة منها.

«إذا ما تهاون رجال الدين، والشعب، والخطباء، والكتّاب، وأصحاب الفكر الواعي الملتزمون، ولم يعتبروا ممّا حدث في بداية الحركة الدستورية، (الثورة المشروطة) [٢] فسيحلُ بالثورة ما حلّ بالحركة الدستورية» [٣].

---

(١) الإختصاص، الشيخ المفيد، ص ٢٤٥.

(٢) المشروطة: اسم أطلق على حركة شعبية قادها بعض العلماء، قاموا في قبال الحكومة الظالمة في عهد القاجار (الحكومة الملكية)، وطالبوا بتحكيم الإسلام وجعله أساساً لقانون الدولة، وإثر ذلك تم عقد أول جلسة لمجلس الشورى الوطني وتمّت المصادقة على هذه الإقتراحات ضمن ٥٠ مادة، وقد أطلق على ذلك بالمشروطة.

(٣) صحيفة نور، ج١٥، ٢٠٢.

وبعد عشر سنوات من انتصار الثورة الإسلامية، قام الإمام بتجزئة وتحليل مواقف وعمل وأفكار بعض مسؤولي النظام كبعض أعضاء الحكومة المؤقتة والليبراليين المؤيدين للتفاوض مع أمريكا، ممّا فتح المجال لنفوذ عملاء الأعداء، والمخالفين دائماً للأصول الثابتة للثورة الإسلامية. وعلى هذا الأساس كان الإمام يحذّر مسؤولي النظام الإسلامي لاتخاذ العبرة ممّا حدث، فيقول:

«عليهم أخذ العبرة من وصول البعض إلى السلطة من المتظاهرين بتأييد الثورة والمتظاهرين بكونهم من عقلاء القوم، الذين لم يؤمنوا قط بأصول وأهداف الحركة الدينية؛ حتى لا ينسوا أفكارهم وخيانتهم في الماضي، مما يؤدي إلى التعاطف غير المبرر معهم، أو سذاجة البعض إلى عودتهم إلى المناصب الحساسة المؤثرة في النظام» (١).

٨ ـ في الطليعة دائماً

عندما يخيم الظلال والظلم والجور، والبدعة والسكوت على المجتمع، يتصدّى دائماً خواص الحق بأفكارهم وسعيهم إلى كسر وتحطيم حصار الخوف والجهل، لتعبيد طريق التكامل الإنساني أمام حركة طبقات المجتمع الأخرى.

وقد كان للخطوات السبّاقة لرجال الدين الواعين العارفين بمقتضيات

(١) المصدر السابق، ج٢١، ص ٩٥.

الزمان والرافضين للظلم والعدوان، الدور الكبير في مواجهة التحديات التي يتعرّض لها المجتمع في فترة الاختناق والعنف والجمود والركود. ويصف الإمام قدس سره هذه الخطوات بالشكل التالي:

«بقلب مفعم بالأمل والشوق والمحبة إلى التعليم والتربية وهداية الأجيال، شحذوا هممهم وقدموا أنفسهم دائماً درعاً واقياً لحماية الناس، وتعرّضوا للمشانق والتعذيب، وذاقوا مرارة السجون والأسر والنفي، والأقسى تعرّضهم لأمواج الطعن والتهم. وفي الظروف التي أصاب اليأس والعجز الكثير من نيري الفكر في مواجهتهم الطاغوت، كان لهم الدور الكبير في إعادة روح الأمل والحياة إلى الشعب، والدفاع عن حيثية واعتبار الناس، وهم اليوم يتقدمون الآخرين في جميع المواضع والمواقف من الخطوط الأمامية في الجبهة وحتى المواضع الأخرى»[(١)].

وقد تعرّض المجتمع لظروف معقّدة جداً، نتيجة للأوضاع الخاطئة السياسية والاجتماعية في المجتمع، والأفكار الخاطئة لبعض رجال الدين، والجَو المغلق الذي كان سائداً في الحوزات العلمية في الماضي بالنسبة لتعاملها مع المسائل السياسية، وإبعاد بعض المجاهدين في فترة النضال من قبل بعض الجهّال.. وفي ظل هذه الظروف المعقّدة كان خواص الحق سبّاقون في تحطيم حصار الجهل والخرافة، والولوج في ميدان الجهاد

(١) صحيفة نور، ج٢٠، ص ٢٤.

والنضال، لإنقاذ المسلمين من ظلم النظام الطاغوتي.

يقول الإمام بهذا الصدد:

«في فترة جمود الحوزات العلمية، كانوا يتهمون كل حركة بالشيوعية أو التبعية للانجليز، أقدم بعض علماء الدين على وضع أيديهم بأيدي المواطنين البسطاء في الأزقة والأسواق، المواطنين الفقراء المعذبين، وعرّضوا أنفسهم للقتل والتعذيب، حتى حققوا النصر في النهاية» [١].

وفي فترة السنوات الثمان من الدفاع المقدس، وبينما كان البعض من الجّهال الطالبين للراحة والدعة يلتزمون منازلهم حفظاً لأنفسهم وأبنائهم وأقربائهم من مخاطر الحرب، ويعارضون أحياناً موقف المجاهدين في جبهات القتال؛ كان الأبطال من أصحاب الضمير الحي يرتدون لباس الحرب ويتذوقون طعم الشهادة، ليقدّموا للناس نموذجاً عظيماً في الدفاع عن الوطن، ويحرّضون الآخرين على قتال الأعداء والمتجاوزين.

وفي تكريمه لذكرى أحد الخواص السبّاقين في ميدان الجهاد والشهادة، يذكر الإمام:

«قائدنا كان ذلك الطفل ذو السنوات الإثني عشر الذي فاق بقلبه الصغير قيمة المئات من الألسنة والأقلام، عندما رمى بنفسه، وهو يحمل قنبلته

(١) صحيفة نور، ج٢١، ص ٧٤. وللإطلاع أكثر راجع: تحليل از نهضت إمام خميني، سيد حميد روحاني، ج١؛ ونهضت روحانيون، على دواني، ج٣ و٤.

اليدوية تحت دبابة العدو ليفجرها ويتذوق طعم الشهادة»[١].

إنّ دفتر ذكريات الجبهة والحرب مملوء بالمواقف الرشيدة والبطولية للشباب المجاهدين السباقين في ميادين الجهاد. وعندما لم تسعفهم قدراتهم وقواهم الجسمية على المشاركة في ساحات الوغى، فإنهم أدركوا جيداً بوعيهم وبصيرتهم الظروف الدفاعية لنظام الجمهورية الإسلامية، فسبقوا غيرهم على أيثار مالهم وما يمتلكون للمساعدة في تمويل جبهات القتال.

وفي لقائه جمع من المقاتلين في الجبهة، أشار الإمام إلى هذا الإيثار فقال:

«وأنتم تقاتلون في الجبهة، يقف الشعب خلفكم يساعدونكم بكل ما يملكون دون أن يجبرهم أحد على ذلك؛ يأتون من الطفل الصغير الذي يقدم حصالة نقوده لكم، حتى العجوز في السبعين من عمرها تقدم ما جمعته من ذهب طيلة حياتها»[٢].

قائد الثورة الإسلامية أيضاً يذكر أحد نماذج التسابق على الجهاد، فيقول:

«في الأهواز شاب دخل غرفة عرسه في الساعة الثانية عشرة ليلاً، وذهب إلى الجبهة في الساعة الخامسة صباحاً، واستشهد في الساعة السابعة

(١) صحيفة نور، ج١٤، ص ٦٠.

(٢) المصدر السابق، ج١٥، ص ٧.

صباحاً؛ وعندما جاء بعض الأخوة من حرس الثورة الإسلامية لتعزية والدته، قالت لهم بقوة ورباطة جأش: أنا سعيدة؛ لأن أقل فائدة قدمها ولدي بشهادته، هي جعلكم أقوى وأشد ثباتاً في طريقكم» [١].

٩ـ إتخاذ التدابير اللازمة في الوقت المناسب

إنّ التحولات التاريخية العظيمة، تحدث نتيجة للقرارات المهمة التي يتخذها العلماء والمفكرين في الوقت المناسب وفي الظروف الحساسة والمصيرية. وما حصل من حركة تجديد لحياة الإسلام، وإنقاذ المسلمين من مخالب الاستعمار والاستغلال، إنّما كان ثمرة الإحساس بالمسؤولية لخواص الحق وقراراتهم المهمة التي اتخذوها في الوقت المناسب. فالكثير من مؤامرات الأعداء وخططهم المختلفة لمحو آثار الإسلام وإهانة مجد وعظمة المسلمين، قد تم إفشالها وإبطالها في ظل التدابير المناسبة التي اتخذها محيي الدين في الوقت المناسب.

عندما تم تنظيم عقد منح الشركة الإنجليزية الامتياز الحصري لشراء التبغ الإيراني في ١٥ مادة، ظهرت ـ بمضي الوقت ـ دلائل مهمة على ما يسببه هذا العقد من ضرر على البنية المالية لإيران، إضافة إلى هجوم الأجانب على البلاد، وهي ذات الطريقة التي استخدمها الإنجليز لاحتلال الهند. وعلى هذا الأساس، بدأ جهاد العلماء للتصدي لهذا العقد، لكنها لم

(١) در مكتب جمعه، ج٢، ص ٣٨١.

تثمر عن نتيجة مهمة، فأقدم الميرزا الشيرازي على كتابة عدد من البرقيات إلى ناصر الدين شاه لمنع الحكومة من توقيع هذا العقد، لكنها لم تثمر عن شيء أيضاً؛ فأصدر الميرزا الشيرازي حكم تحريم التبغ بعبارة قصيرة ومؤثرة ودقيقة ومهيجة للمشاعر:

«بسم الله الرحمن الرحيم: اليوم استعمال التبغ والتتن بأي نحو كان، في حكم محاربة إمام الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف» [١].

وقد امتدح الإمام الخميني هذا القرار الشجاع للميرزا الشيرازي في إصداره فتوى تحريم التبغ، واعتبره من المواقف التاريخية للمرجعية الشيعية، فقال:

«لقد أنقذ الميرزا الشيرازي بعبارة واحدة إيران من أيدي الإنجليز». [٢]

«إنّ ذلك النصف سطر الذي أصدره الميرزا الشيرازي، قد أخرج بلادنا من فم الأجانب» [٣].

«إنّ فتوى أصدرها رجل يسكن (قرية) في العراق، هزمت إمبراطورية عظيمة، وحتى سلطانها في تلك الفترة لم يتمكن رغم السعي المتواصل من المحافظة على هذا العقد» [٤].

---

(١) الميرزا الشيرازي، آقا بزرگ تهراني، ص ٢٥٧.

(٢) صحيفة نور، ج١١، ص ١٢٦.

(٣) المصدر السابق، ج٩، ص ١١٩.

(٤) صحيفة نور، ج٨، ص ٢٧.

وفي سنة ١٩٢٠م، وبعد تسلط الإنجليز واحتلالهم العراق، انتفض الشعب العراقي على الوجود الإنجليزي بقيادة الميرزا محمد تقي الشيرازي، الذي كتب في رسالة إلى عشائر العراق:

«يجب على العراقيين المطالبة بحقوقهم، ويستحب إتباع الطرق السليمة لاستعادة هذه الحقوق، ويجوز استخدام السلاح لقتال العدو إذا ما رفض الإنجليز الاستجابة لهذه المطالب» [١].

وحول هذا الموقف الذي اتخذه الميرزا في الوقت المناسب، يقول الإمام الخميني قدس سره:

«عندما هجم الإنجليز على العراق لاستعماره واحتلاله، انتفض شيخ كبير وأمر الشعب بالجهاد، وأصدر حكمه بالدفاع عن العراق، فانتفض الشعب بثورة عارمة، وبذلك أنقذ العراق من الاستعمار..» [٢].

«.. فلولاه لَسَيْطَر الإنجليز على العراق، وبكلمة واحدة استطاع جمع العراقيين، وأعاد الأوضاع إلى الإتجاه الصحيح» [٣].

وحول هذه المواقف البطولية وتأثيرها العظيم في تاريخ الأحداث، قال قائد الثورة الإسلامية:

«إنّ إتخاذ الخواص المواقف المناسبة في الوقت المناسب، وتشخيصه

(١) أعلام، زركلي، ج٦، ص ٢٨٩، وجهادية، محمد حسن كاووس، نصر الله صالحي ص ١١٨.

(٢) صحيفة النور، ج١٣، ص ١٧٥.

(٣) صحيفة النور، ج١، ص ١٧.

الصحيح في الوقت المناسب، وزهدهم عن الدنيا في اللحظة المناسبة، وعملهم في سبيل الله في اللحظة المناسبة، هو الذي أنقذ التاريخ..»[١].

فلربما موقف مناسب يؤدّي إلى إنقاذ التاريخ.[٢][*]

واجبات خواص الحق

تقع على خواص الحق باعتبارهم أتباع الأنبياء والأولياء الإلهيين مسؤولية ورسالة عظيمة لتبليغ ونشر المعارف الدينية والسعي لتطبيق الأحكام الإلهية، حتى يتمكّنوا من إدامة حركة الأنبياء والأولياء الإلهيين.

ومن الخصائص الروحية والفكرية والشخصية اللازمة لخواص الحق في أدائهم لرسالتهم المهمّة، نذكر معرفتهم بالأديان والمذاهب والنظريات السياسية والاقتصادية المعاصرة في العالم، الإطلاع على تعقيدات نظريات

(١) گزيده أخبار، رقم ٦١١، ص ٢٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٢١.

(*) إنّ موقف الإمام الخميني قدس سره وقراره في (٢١ بهمن ١٣٥٧هـ.ش) يعتبر أيضاً من اللحظات الحساسة في تاريخ الثورة الإسلامية. وفي خضم الهزيمة النهائية للنظام البهلوي، عمد السياسيون المرعوبون في النظام إلى زيادة ساعات الأحكام العرفية للسيطرة على الأوضاع المضطربة وإنقاذ النظام من الهزيمة الحتمية. وفي هذه اللحظات الحساسة جداً أمر الإمام جميع أفراد الشعب بالنزول إلى الشوارع وعدم المبالاة بالأحكام العرفية، وأصدر الإمام البيان التالي إلى أهالي طهران: «إنّ إعلان الأحكام العرفية اليوم هو خدعة ومخالف للشرع، وعلى الشعب عدم المبالاة به بأي شكل».

(صحيفة نور، ج٥، ص ٦٩) (وبهذا الشكل تم طي صفحة النظام الديكتاتوري الذي دام لألفين وخمسمائة سنة).

السياسيين في الإستكبار العالمي وخططهم السرية، ومعرفتهم الدقيقة بالقوى السياسية الجديدة في العالم؛ ومراقبة ومتابعة التحولات المستمرة والمتنوعة في العلاقات الدولية.

وحسب آراء وأفكار الإمام الخميني نتطرق الآن إلى أهم الواجبات الملقاة على عاتق خواص الحق، المؤثرة كثيراً في المجتمع:

١ـ إيجاد وتنظيم التشكيلات الصحيحة والسالمة

لقد كان للحركات الفردية في محاربة الظلم والسعي لإصلاح المجتمع وهدايته أثر محدود ومؤقت، رغم كونها قامت بقيادة شخصيات قوية ذات نفوذ كبير في المجتمع.

وعند التدقيق في تاريخ الحركات الإسلامية يتضح بجلاء، أن السبب في فشل معظم هذه الحركات والثورات التي قامت على مدى تاريخ ما بعد صدر الإسلام وفترة الأئمة عليهم السلام؛ يعود بالدرجة الأساس إلى عدم انسجام هذه الحركات وفقدانها التنظيم الصحيح.

وعلى هذا الأساس، صمم الإمام الخميني قدس سره منذ بدء النهضة الإسلامية والنضال ضد الاستبداد والديكتاتورية، على تنظيم خواص الحق وزيادة انسجامهم ليتمكنوا من التأثير الشامل والايجابي في نشاطاتهم الثورية ضد الأعداء، كما سعى الإمام إلى تنظيم برامج خواص الحق وتشكيلاتهم والاستفادة من تبادل الأفكار والآراء وجمع المعلومات

اللازمة، ثم التشاور فيما بينهم للوصول إلى وحدة عمل وإتحاد في الرأي وإتخاذ القرارات المهمة ليتسنى لهم تنفيذها بشكل كامل. ولهذا، فإن الإمام ومنذ بدء النهضة الإسلامية سعى لإيجاد مثل هذه التشكيلات والنظام في التخطيط؛ لاتساع رقعة الحركات الثورية في البلاد، فقال:

«وعلى هذا الأساس فقد سعيت لأن أجعل في كافة مناطق إيران، وفي يوم من أيام العطل، يوماً لاجتماع أهل العلم، أي افترضوا أن نجعل من يوم السبت أو ليلة السبت اجتماعاً لأهل العلم في طهران، واجتماعاً لأهل العلم في خراسان، واجتماعاً أيضاً لأهل العلم في القرية الفلانية مثلاً»(١).

وفي فترة انتشار الحركة الثورية في السنوات (٧٨م و٧٩م)، حيث وصل موج الثورة إلى كافة مناطق البلاد، واشترك بها كافة طبقات المجتمع، حدد الإمام الرسالة المهمة للنخب الفكرية والسياسية في المجتمع في التنظيم والتخطيط حتى يتمكّنوا من الاستفادة القصوى من الطاقات والإمكانات الموجودة لتقوية الثورة واتساعها قدر الإمكان.

ولهذا فإنه يوصي كبار قادة الثورة، فيقول:

«نظموا الثورة، وتجنبوا ما يؤدي إلى الفرقة، والتزموا بالنظام»(٢).

إنّ التنظيم والتخطيط يُعد مقدمة للوحدة والإنسجام وتجنب الفرقة والاختلاف في العمل، وهذا الأمر يعتبر أهم الواجبات الملقاة على عاتق

---

(١) صحيفة نور، ج٢، ص ٦٠.

(٢) صحيفة النور، ص ٥٩.

النخب المؤثرة في المجتمع.

كما يؤكد الإمام على الجامعيين باعتبارهم الطبقة الفعالة والشابة التي تحدد مستقبل المجتمع وتقدّمه، ويوصيهم بضرورة التنظيم في نشاطاتهم والإتحاد في مواجهة الأعداء. فيقول في هذا المجال:

«إنكم في مواجهة مع العدو، مما يحتم عليكم الاستعداد لهذه المواجهة، من خلال العمل كمجموعة واحدة والإتحاد في الرأي» (١).

وفي فترة تأسيس نظام الجمهورية الإسلامية وتثبيت أركان الجمهورية الإسلامية، إضافة إلى دور قادة النظام ونشاطهم، فإن الإمام قد حدد رسالة طلاب الحوزة العلمية والجامعيين باعتبارهم الطبقات المؤثرة في المجتمع، بضرورة تنظيمهم تحت عنوان (تعبئة الطلبة والجامعيين). ويعتبر هذا الأمر من وجهة نظر الإمام من أهم البرامج والسياسات العملية الضرورية لتقوية هاتين الشريحتين؛ لأن مستقبل النظام الإسلامي يرتبط بسعيهما ونشاطهما، كما يعدان الهدف الأساس لخطط الأعداء ومؤامراتهم للتأثير عليهما والعمل على انحرافهما. لذا تقع على هاتين الشريحتين رسالة مهمة في التقريب بين أفكارهما وآرائهما، لما لذلك من أهمية كبرى في رسم إستراتيجية دقيقة طويلة الأمد للحكومة الإسلامية.

ولما كانت الوظائف والمسؤوليات المهمة في النظام الإسلامي تقع بيد

---

(١) نفسه المصدر، ج٩، ص ١٢٠.

هاتين الشريحتين، فإن سلامة النظام أو انحرافه مرهون بمدى سعيهما ونشاطهما؛ لذا كان الإمام في دفاعه عن قيم الثورة والإسلام، يخاطب رجال الدين والجامعيين، بقوله:

«إنّ (تعبئة الطلاب الجامعيين) تعد من أهم التجمعات والتشكيلات؛ في الوقت الراهن؛ إذ ينبغي على طلاب العلوم الدينية والجامعيين الدفاع عن موقعهم بكل قوة عن الثورة والإسلام» [١].

كما يدعو الإمام الجامعيين وطلاب العلوم الدينية إلى الانسجام والتخطيط المشترك لنشر المعارف الدينية، فيقول:

«... على الحوزة والجامعة أن يذوب أحدهما في الآخر، حتى يفسحوا المجال لنشر وترويج المعارف الإسلامية» [٢].

٢ـ الاستفادة من المناسبات الإسلامية

ومن الواجبات الأخرى لخواص الحق هي الاستفادة الصحيحة من الشعائر السياسية العبادية كالحج والجمعة، والجماعة والشعائر الحسينية والتجمعات الشعبية الكبيرة في أيام الله، ونفض غبار التحريف والبدعة عن صورة هذه المناسك الإسلامية.

إذ أن شرح الأبعاد السياسية الاجتماعية للأعمال والمناسك والشعائر

(١) صحيفة النور، ج٢١، ص ٥٣.

(٢) صحيفة النور، ص ٩٩.

الدينية وتفهيمها للمسلمين وطبقات المجتمع المختلفة، سيؤهلهم أكثر للمشاركة في المحافل السياسية الاجتماعية المختلفة. فعلى خواص الحق في مثل هذه الأيام تقع مسؤولية توعية المسلمين (وإطلاعهم) على الأوضاع والمشاكل التي تواجههم، وطرح الحلول العملية لتقوية الإسلام وزيادة مجده وعظمته.

ومن أفضل الفرص التي يمكن لخواص الحق الاستفادة منها في هذا المجال، هي الشعائر الحسينية في أيام محرم الحرام ومجالس العزاء على سيد الشهداء التي يقيمها عشّاق أهل البيت عليهم السلام.

وحول مسؤولية خواص الحق في تعميق معرفة الناس بروح وهدف وفلسفة مجالس العزاء على الإمام الحسين عليه السلام، يقول الإمام الخميني قدس سره:

«لا تتصوروا أن اجتماع الناس في مجالس العزاء هدفه البكاء على سيد الشهداء فقط؛ إذ لا سيد الشهداء يحتاج إلى مثل هذا البكاء، ولا البكاء في نفسه يجدي نفعاً.. بل أن الصبغة السياسية لمثل هذه المجالس أعظم من جميع جوانبها الأخرى» [١].

ويرى الإمام أن من الأهداف الأساسية لاجتماع المسلمين السنوي في مناسك الحج السياسية العبادية، هو الإطلاع على المشاكل التي تواجه العالم الإسلامي، وطرح الحلول المناسبة لهذه المشاكل المعقدة:

(١) صحيفة النور، ج١٣، ص ١٥٣ ـ ١٥٤.

«إنّ قضية مكة، واجتماع الناس فيها، ووجوب تجمع الناس من كافة البلاد الإسلامية في هذه المحافل المختلفة بهذا الانسجام والنظام، لماذا؟ فالله لا يحتاج إلى عبادة أمثالنا، بل أراد الله تبارك وتعالى أن يجتمع الناس، وأوجب تجمعهم هناك ليطرحوا مشاكل الإسلام ويعملوا على حلها» (١).

ومن هذا يتضح دور خواص الحق بحضورهم الفعّال والمؤثر في مثل هذه الاجتماعات، وتوعية المسلمين على مشاكل الدول الإسلامية وضرورة تعيين العدو وفضح خططه ومؤامراته وكشفها لزوار بيت الله الحرام.

وفي لقائه رجال الدين المشرفين على مواكب الحجاج، قال الإمام:

«أينما كنتم إسعوا إلى جمع الناس لتوضيح مسائل الحج لهم بالشكل الصحيح، وكما تبينوا لهم الواجبات والمحرّمات، وأمثالها في هذه المناسك، عليكم إضافة إلى ذلك توضيح مسائل أخرى يجب طرحها على المسلمين، من خلال معاشرتهم والتعرف عليهم، لكن يجب طرحها بأسلوب ونظام خاص حتى تنبِّهوهُم لتقاعسهم، وتركهم أمريكا تأتي إليهم من أقصى بقاع الأرض لإدارة أمورهم والتسلط عليهم.. إذ يجب على المسلمين إدارة أمورهم بأنفسهم» (٢).

ولا يخفى على أحد دور المساجد في إحياء الثقافة والقيم الإسلامية؛ إذ يعد اجتماع الناس في المساجد في المناسبات الدينية الخاصة من أفضل

---

(١) المصدر السابق، ص ١٥٤.

(٢) صحيفة النور، ج١٨، ص ٧٢.

الفرص التي ينبغي على خواص الحق إستثمارها في تقوية الأصول العقائدية والسياسية للناس. وحول هذا الموضوع يقول الإمام:

«المساجد أفضل الأماكن، والجمعة والجماعات أهم المناسبات الملائمة لمناقشة وبيان مصالح المسلمين» [١].

ويبرز هنا دور رجال الدين في استقطاب شريحة الشباب، مما له الأثر المهم والإيجابي في ترويج الثقافة الإسلامية وحماية المجتمع من آفات غزو الثقافة الغربية. ولهذا كان الإمام يؤكد على ضرورة اغتنام رجال الدين وأئمة الجماعة لهذه الفرصة الإلهية العظيمة في استقطاب الشباب وتوعيتهم وتعريفهم بالقيم الإسلامية.

«وعلى السادة القيام بدورهم في التبليغ على تحسين هذه المجالس ومجالس الجماعة التي يرتادها الناس يومياً للاجتماع في المساجد؛ ولا ينحصر هذا الاجتماع بالطاعنين في السن والعاطلين عن العمل؛ بل يجب أن يجتمع الشباب في هذه المساجد؛ إذ لو أننا نعي ما لهذه الاجتماعات من فوائد مهمة، وما يمكن لهذه الاجتماعات التي أمر بها الإسلام من حل المسائل السياسية، ورفع المشاكل والمعضلات الكثيرة؛ لما أصبح حالنا كما هو اليوم حيث تقتصر مساجدنا على حضور عدد بسيط من النساء والرجال الطاعنين في السن» [٢].

---

(١) صحيفة الإمام، ج٢٠، ص ٣٣٨.

(٢) صحيفة الإمام، ج١٣، ص ٣٢٥.

٣ـ هداية الناس والاستفادة منهم

من الواجبات الأخرى لخواص أهل الحق، هي هداية الناس والاستفادة الصحيحة من طاقاتهم العظيمة (هو المعني) في تحقيق أهداف الإسلام ومبادئه.

فالشعوب الإسلامية بما تستمده من الهداية والوعي في ظل حركة الأنبياء والعلماء العاملين وسعيهم المستمر، تعتبر سنداً قوياً وضامناً لبقاء واستمرار الحركة التكاملية للإسلام في المجتمعات البشرية.

وفي تعريفه (السياسة) من وجهة نظر الدين، يبيّن الإمام دور العلماء والصلحاء ورسالتهم في هداية الناس من خلال إتباعهم لسيرة الأنبياء في سبيل تحقيق القيم الإسلامية المتعالية، فيقول:

«.. (السياسية) هي التي تهدي المجتمع وتعمل على تقدمه؛ وتهتم بجميع مصالح المجتمع، وتهتم بجميع أبعاد الإنسان والمجتمع، وتعمل على هدايتهما لما فيه صلاحهما، وصلاح الشعب وصلاح الأفراد، وهذا يختص بالأنبياء لعجز الآخرين عن إدارة هذه السياسة؛ فهو يختص بالأنبياء والأولياء ثم العلماء الواعين»[(١)].

إنّ ما يقوم به الخواص والعلماء العاملين من توعية الناس بالأساليب الجهادية القائمة على الرؤية الواضحة والبصيرة الكاملة، يمكن أن تصنع

(١) صحيفة نور، ج١٣، ص ٢١٨.

قوة عظمى واعية، وبنياناً مرصوصاً يتصدى لهجوم الأعداء ومخططاتهم.

في أوائل سنوات ثورة الإمام، بعض العوام وذوي الرأي القاصر أو الخواص الغافلون عن القوة الهائلة التي يملكها الشعب الواعي، كانوا يقولون للإمام: نحن لا نمتلك قنبلة نتصدى بها للشاه! لكن الإمام هذا الفقيه الواعي ذو البصيرة والضمير الحي، كان يدرك قوة الشعب الإيراني المسلم وحضوره الواعي في ميادين المقاومة والجهاد، وإمكانية هدايته في ظل زحمات المرجعية الشيعية وسعيها للاستفادة من قدرات هذا الشعب لإسقاط نظام الشاه؛ فكان يقول:

«نحن نمتلك قوة أعظم بمراتب من القنبلة» [١].

وبهذه العبارة حدد الإمام المسؤولية الخطيرة للعلماء العاملين في هداية الشعب بشكل صحيح، حتى يتمكنوا من الاستفادة من هذه الطاقات العظيمة في سبيل إنهاء الهيمنة الدكتاتورية الظالمة لنظام الشاه، فالإمام وفي بيانه لمسؤولية العلماء والمفكرين الإسلاميين يقول:

«... إن علماء المسلمين هم المكلّفون في المقدمة، وتقع عليهم مسؤولية، أعظم من الآخرين، وهي هداية المجتمع» [٢].

«إنّ العلماء والخطباء وأئمة الجمعة في البلاد والمفكرين الإسلاميين بوحدتهم وانسجامهم وإحساسهم بالمسؤولية، وعملهم بوظيفتهم الخطيرة

---

(١) تحليلي از نهضت إمام خميني، ج٢، ص ١٥٣.

(٢) صحيفة الإمام، ج٧، ص ٥٣٩.

في هداية الناس وقيادتهم، يمكنهم بسط حاكمية القرآن على جميع الدنيا» [١].

كما أن ترويج المعارف الإسلامية الغنية ونشرها تعتبر من الوظائف والمسؤوليات الأخرى للعلماء العاملين لأجل هداية المسلمين:

«على السادة أن ينتبهوا إلى هذا المعنى، أن يقوموا بتوعية الناس إلى المعارف الإلهية.. بحيث نعمل على إفهام الناس بالمعارف الإسلامية حسب استعدادنا وقدراتنا» [٢].

٤ـ بيان صورة الإسلام المحمدي الأصيل

لقد تعرّض الدين الإسلامي الحنيف بعد رحلة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله إلى التحريف والتشويه، ممّا رسم صورة أخرى مشوهة لهذا الدين كانت تسير بموازاة صورة الدين الإسلامي الأصيل، وتعارضها على مدى مراحل التاريخ الإسلامي، وطرح هذا التعارض بين الصورتين بعناوين مختلفة منها (تقابل الإسلام العلوي مع الإسلام الأموي والعباسي) و(تقابل الإسلام اللقيط مع الإسلام الحق).

وفي القرن المعاصر، ونظراً لوسائل الدعاية والإعلام التي جنّدها الإستكبار العالمي بقيادة أمريكا لتحريف حقائق الإسلام، وبالاستفادة من

(١) المصدر السابق، ج٢٠، ص ٣٣٧.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٩٩.

بعض من تزين بلباس رجال الدين، إستطاعت أمريكا أن تروّج صورة مشوهة وجامدة عن الإسلام، فتصدى الإمام قدس سره لهذه الصورة المشوهة، وأطلق على هذا التقابل والمواجهة عنوان (تقابل الإسلام المحمدي الأصيل والإسلام الأمريكي).

وحول مخاطر الإسلام الأمريكي ورسالة خواص الحق في بيان الإسلام المحمدي الأصيل بصورة دقيقة وصحيحة يقول الإمام:

«إنّ مواجهة الإسلام الأمريكي تتضمن مخاطر خاصة ينبغي بيان جميع أبعادها للمسلمين المستضعفين، إذ للأسف مازالت الكثير من الشعوب الإسلامية لا تميز حتى الآن بين الإسلام الأمريكي والإسلام المحمدي الأصيل، وبين إسلام المستضعفين والمحرومين وإسلام المتظاهرين بالدين والمتحجرين والأثرياء والمرفهين المنكرين لله..، لذا تقع على جميع العلماء مسؤولية توضيح هذين الفكرين، وإنقاذ الإسلام العزيز من أيادي الشرق والغرب» (١).

ومن مسؤوليات خواص الحق ورسالتهم، وضع السياسات الصحيحة الجامعة والإسلامية الأصيلة في المجالات المختلفة، كالمسائل الاقتصادية لرفع الفقر والتمييز:

«تقع على العلماء والمحققين والخبراء الإسلاميين مسؤولية استبدال

(١) صحيفة نور، ج٢١، ص ٨.

النظام الاقتصادي الخاطئ السائد في العالم الإسلامي، من خلال طرح البرامج البناءة التي تحقق مصالح المحرومين والمستضعفين، لإنقاذ المستضعفين والمسلمين من الحرمان والفقر... كما أن طرح الأفكار وتوجيه الاقتصاد الإسلامي بما يضمن المحافظة على مصالح المحرومين وتوسيع مشاركتهم العامة ومحاربة الإسلام لمن يحتكر الثروات، تعد جميعها أفضل هداية وبشارة تحرر الإنسان من أسر الفقر والعوز» (١).

٥ـ العمل بما يقتضيه تكليفهم (القيام بمسؤولياتهم)

في حديثه حول الحديث النبوي «كُلُّكُمْ راعٍ وكُلُّكُمْ مَسْؤول عَنْ رَعِيَّته» (٢)، يخاطب الإمام العلماء ورجال الدين، قائلاً:

«إنّ كلمة (رعى) تختص بكم أكثر من غيركم؛ وتختص بالعلماء أكثر من غيرهم، إذ حتى لو قتلونا أفواجاً، فعلى التالين أن يشغلوا مكاننا. علينا جميعاً أن نضحي في سبيل الإسلام، حتى النبي ضحى بنفسه في سبيل الإسلام، فالإسلام أعظم شيء، وهو وديعة الله بيد البشر» (٣).

وفي قسم آخر من حديثه، يشير الإمام إلى الظروف الحرجة التي تمرّ بها الثورة الإسلامية وإلى رسالة الخواص، فيقول:

«المهم الآن هو الإسلام؛ أي المواجهة بين الإسلام والكفر، وجميع

---

(١) صحيفة الإمام، ج٢٠، ص ٣٤٠.

(٢) بحار الأنوار، ج٧٢، ص ٣٨.

(٣) صحيفة الإمام، ج١٥، ص ١٤.

أفراد الشعب مسؤولون في هذه المواجهة، الجميع مسؤولون، لكن رجال الدين يتحمّلون القسم الأعظم من المسؤولية؛ لأن رجال الدين في مقدمة المدافعين عن الإسلام، وهم الذين يتحمّلون المسؤولية أكثر من الآخرين» [١].

إنّ العلماء العاملين لا يفكرون أبداً بالمهادنة أو الهروب من المسؤولية ولا يتذرعون بالحجج الشرعية للتهرّب منها؛ بل يعملون وفق ما يقتضيه تكليفهم الشرعي.

ويوضّح الإمام الخميني مسؤولية فضلاء الحوزة وعلمائها في بيانه حول دور رجال الدين ومسؤوليتهم في نظام الجمهورية الإسلامية، الذي خاطب فيه فضلاء الحوزة العلمية في قم، فقال:

«على رجال الدين والعلماء والطلاب أن يعتبروا الأعمال التي يمارسونها في القضاء والسلطة التنفيذية أمراً مقدساً وأحد القيم الإلهية، وأن يحفظوا شخصيتهم وقيمهم في الحوزة؛ بل عليهم تنفيذ حكم الله وترك الاسترخاء في الحوزة والتصدي لأمر الحكومة الإسلامية. فالطالب الذي يرى أن أحداً لم يتصدّى لمنصب إمامة الجمعة وتوعية الناس أو للقضاء في أمور المسلمين، ويرى في نفسه القدرة على إدارة هذا المنصب لكنه يتعذر عنه بحجة الانشغال في الدرس والبحث أو لأنه مشغول بهوى

(١) المصدر السابق، ج١١، ص ٤٩٨.

الاجتهاد والدرس فقط، فإنه يقيناً سيكون مسؤولاً أمام الله، ولـن يقبـل منـه أي عذر» [١].

النقطة المهمّة الأخرى التي أشار إليها الإمام في رؤيته حـول التكليـف والمسؤولية، هي ضرورة دفاع الخواص والنخب عـن اعتبـارهم وسـمعتهم عند أدائهم تكليفهم الشرعي والإلهي؛ لأن السياسات المعقّدة التـي إتبعهـا الأعداء لهزيمة الثورة الإسلامية ومؤامرات العملاء فـي الـداخل، قـد أدت إلى إيجاد ظروف صعبة لتصدي الأمور التنفيذية، ومـن جهـة أخـرى فـإن عدم تصدي الكفاءات للمناصب المهمة في النظام الإسلامي، سيؤدي إلـى وقوعها بأيدي العملاء والفاشلين والمتمسّكين بهوى الدنيا.

لهذا كان لزاماً على العلماء والمثقفين المدّبرين أن يعدّوا أنفسهم لأداء رسالتهم الخطيرة، والدفاع عن مبادئهم وسمعتهم:

«إنّ من الـصعب تحمـل المـسؤولية فـي بلـد يتعـرض لأنـواع الحـصار ويعاني من المشاكل الاقتصادية والسياسية والعسكرية. وبالطبع، ينبغي على العلماء العاملين أن يعدّوا أنفسهم عند الضرورة للتضحية أكثر والدفاع عن اعتبـارهم وسـمعتهم للمحافظـة علـى مكانـة الإسـلام ومـن أجـل خدمـة المحرومين والمستضعفين» [٢].

فالإمام يرى أن الأفراد الذين يمتلكون القدرة والكفاءة على التـصدي

---

(١) صحيفة نور، ج٢١، ص ١٠٠.

(٢) صحيفة نور، ج٢٠، ص ٢٤٢.

للمناصب المهمة والحساسة في نظام الجمهورية الإسلامية يجب أن يقبلوا هذه المسؤولية، ويعملوا لخدمة الناس والشعب، وتخلفهم عن المسؤولية يعد جفاءً وعصياناً منهم لأمر معبودهم الحقيقي.

«كل من يرى نفسه مديراً ومدبراً وخادماً لخلق الله، فإن تخلفه عن التصدي لهذه المسؤولية في هذا الوقت، يعد جفاءاً للناس ولإله الناس» [١].

المخاطر التي تواجه خواص الحق

من البديهي أن يتعرض خواص الحق أكثر من غيرهم إلى الآفات والمخاطر المختلفة، نظراً لخصائصهم ومسؤولياتهم ومناصبهم السياسية الاجتماعية المهمة؛ لذا فإن سقوطهم أو انحرافهم سيؤدّي إلى سقوط أو انحراف المجتمع بأكمله.

الرسول الأكرم صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ، يقول:

«صِنْفان منْ أُمَّتي إذا صَلُحا صَلُحَتْ أُمَّتي، وَإذا فَسَدا فَسَدَتْ أمَّتي، قيلَ: يا رَسُولَ الله مَنْ هُما؟ قالَ: اَلْفُقَهاءُ وَاْلأُمَراءُ» [٢].

فالإمام الخميني يرى أن انحراف خواص الحق سياسياً وثقافياً سيؤدي إلى إفساد المجتمع الإسلامي وانحرافه، وبالتالي سيؤثر على كافة

(١) المصدر السابق، ج١٩، ص ١٠٨.

(٢) الخصال، الشيخ الصدوق، ص: ٣٧، باب الاثنيين، ح: ١٢.

المسلمين؛ لأن خواص الحق يمثلون القدوة التي يحتذي بها عامة الشعب، ويتأثرون بأعمالهم وسلوكهم ومواقفهم في المجتمع.

«إذا ما أصبح العالِم مفسداً خبيثاً، فإنه سيؤدي إلى انحراف المجتمع وتعفنه، إلا أنه لن يُشْعَر برائحة هذا التعفن في الدنيا، ولكن سَيُشْعَر به حتماً في الآخرة. أما أحد الأفراد من العوام، فإنه لا يستطيع أن يحمّل المجتمع مثل هذا الفساد والانحراف، لأنه لن يتجرأ أبداً على إدعاء الإمامة والمهدوية، أو إدعاء النبوة والإلوهية؛ بل هو العالِم المفسد الذي يمكنه ترويج الفساد في المجتمع»[1].

ومن المخاطر والأمراض الفتاكة التي يمكن أن تهدد خواص الحق نذكر: الوساوس الشيطانية، حب الرئاسة، التذبذب في الأفكار، وحب جمع المال، إستدراج الآخرين في سلوكهم السياسي والاجتماعي لتأييد النظام السياسي السلطوي الحاكم على العالم، العدول عن الأصول الثابتة للجهاد والمقاومة، وتغلغل العملاء في المجتمع الإسلامي من خلال استغلال نقاط الضعف في شخصية خواص الحق.

لذا ينبغي على خواص الحق تحصين أنفسهم من هذه الأمراض والمخاطر، من خلال الوعي، والدقة، ومراقبة النفس ومحاربتها، والوقوف بشدة أمام العدو، وتجنب المسامحة، والابتعاد عن العمل المتكرر كل يوم.

---

(١) الجهاد الأكبر، الإمام الخميني، ص: ١٧.

والآن سنبحث بعض المخاطر التي يرى الإمام أنها يمكن أن تهدد خواص الحق، وتؤدي إلى توجيه ضربات موجعة إلى أساس نظام الجمهورية الإسلامية.

١ـ السذاجة

من الأسباب التي تؤدي إلى وقوع خواص الحق في فخ مؤامرات الأعداء وخططهم الشيطانية هي، عدم فهمهم الصحيح للطبيعة المعقدة لسياسات الأعداء ومؤامراتهم، وعدم تحليلهم الدقيق والصحيح للأحداث السياسية التي تقع في إيران والعالم.

وحول سذاجة أحد هؤلاء الخواص، يذكر الإمام الخميني حادثة وقعت في فترة تنفيذ الخطط الاستعمارية في إيران، فيقول:

«عندما كان رضاخان يخلعُ عمائم العلماء، ثم عمد إلى تأسيس حوزة مؤسساتية كما يدعي، قال لي أحد علماء قم رحمه الله:

إنهم يريدون تمييز الصالحين من السيئين، فما الإشكال في ذلك؟

فأجبته: إنهم سيئون مع صلحائهم، ولا يريدون تمييز السيئين بل يريدون تمييز الصالحين حتى يقضوا عليهم» [١].

في النظام الإسلامي، يسعى السياسيون المنحرفون والمخادعون إلى خديعة السذج وتحريكهم؛ لأنهم يتأثرون بسهولة بأفكار الآخرين

---

(١) صحيفة نور، ج١٢، ص ٢٠١.

ومؤامراتهم. كما يسعون إلى إلقاء اليأس في نفوس الخواص السذج بخطط وسياسات النظام الإسلامي، فيدفعونهم إلى الوقوف ضد السياسات التنفيذية التي تمارسها الحكومة.

والقرآن الكريم يذم مثل هؤلاء الوسطاء الذين يحرّفون الأخبار، وينقلونها بشكل يؤذي الأفراد ويؤثر عليهم؛ فيصفهم القرآن بالفاسقين، لذا يخاطب أهل الإيمان بقوله:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ [(١)].

فأحياناً يعمد مثل هؤلاء الفساق إلى نقل بعض الأخبار الكاذبة والمحرفة إلى بعض العلماء السذج، فيدعونهم إلى إتخاذ مواقف مضادة لبعض السياسات العامة للنظام الإسلامي. وحول ضرورة ابتعاد الخواص عن السذاجة في سماع الأخبار من بعض المحيطين بهم من المغرضين والخونة، يقول الإمام:

«ماذا حلّ بكم تنخدعون بكلام بعض الشياطين المنتشرين في أنحاء البلاد، ولا تدركون ماذا تفعلون؟ ألا تدركون أنكم تحملون منشاراً تحاولون قطع جذور الإسلام؟! ألا تدركون أن إضعاف الجمهورية الإسلامية إضعاف للإسلام! وأنتم لا تريدون إضعاف الإسلام! لكنهم

---

(١) سورة الحجرات، آية: ٦.

استغلوا جهلكم لتحريضكم على طرح مثل هذه المسائل، فراجعوا أنفسكم ولا تصبحوا سذّجاً إلى هذا الحد» [(١)(*)].

إنّ سذاجة خواص الحق الذين يمتلكون قيمة واعتباراً معنوياً وعلمياً في المجتمع، سيدفع حتماً المتربصين والمنتفعين إلى استغلالهم وخداعهم لتحقيق مآربهم، وحملهم على إتخاذ المواقف التي تلائم أهدافهم المشبوهة. ويحذر الإمام مثل هؤلاء الخواص السذج، ويقول:

«... إنّ بعض الأفراد المغرضين المتسلّطين المتمولين برؤوس الأموال الضخمة، يعملون على استغلال المحرومين والمستضعفين إلى أقصى حد، ويروجون للفساد في المجتمع من خلال الربا وجني الأرباح الطائلة، أو تهريب العملة الصعبة ورفع الأسعار إلى حد كبير، والتهريب والاحتكار؛ ثم يأتون عندكم للشكوى والخداع، وأحياناً يظهرون أنفسهم بمظهر المسلمين الصالحين، فيدفعون لكم سهماً من أموالهم، ويذرفون دموع التماسيح إلى درجة يثيرون فيها مشاعركم ويدفعونكم إلى الاعتراض، رغم أن أغلبهم يمتصون دماء الشعب بأساليبهم غير الشرعية، ويعرضون

---

(١) صحيفة نور، ج١٧، ص ٢٦٠.

(*) ينقل أحد علماء الحوزة العلمية في قم أن الحديث جرى حول سذاجة أحد العلماء ورجال الثورة الأوائل، فقال الإمام: (لم أسمح لنفسي أبداً أن أتنزل إلى هذا الحد من السذاجة وحسن الظن وتصديق كل ما يقال؛ بل كنت أفكر في كل موضوع وكل شخص، وأدقق بجميع أبعاده، وأدرس حتى الاحتمالات الضعيفة التي يمكن أن ترد عند الأفراد، حتى لا يحدث خلل في عملي). (هفتاد سال خاطره از آية الله سيد حسن بدلا، مركز وثائق الثورة)، ص ٣٥.

اقتصاد البلاد للانهيار» [(١)(*)].

ومن الآفات الأخرى التي يمكن أن تصيب المجتمع بسبب سذاجة بعض الأفراد هي؛ التحليل الخاطئ البعيد عن الواقع، والقائم على الأخبار والمعلومات الخاطئة التي تؤدي إلى رواج الشائعات وإلقاء الشبهات في المجتمع، ممّا قد يؤدي إلى فقدان الشعب ثقته بمسؤولي النظام وإشاعة حالة من اليأس عند الرأي العام في المجتمع.

«للأسف، بعض العلماء غير المدركين لحقيقة الأحداث، وظناً منهم أنهم يدافعون عن الإسلام، يقعون تحت تأثير الشائعات، فيعمدون إلى انتقاد الجمهورية الإسلامية وجميع المحاكم وجميع السلطات في الجمهورية الإسلامية» [(٢)].

وحول خطط الأعداء الهادفة إلى تحريض الخواص السذج، يقول الإمام:

«... الظاهر أنهم اتفقوا على استغلال الأفراد السذج سواء في مجلس

---

(١) صحيفة الإمام، ج١، ص ٤٤٦ و ٤٤٧.

(*) كان الإمام في مثل هذه الموارد ذكياً ودقيقاً جداً، ويذكر حادثة حول هذا الموضوع: (عندما كنت في باريس حضر للقائي بعض أصحاب رؤوس الأموال الذين شعروا بقرب سقوط النظام السابق، وحتى يحفظوا مكانتهم ومعيشتهم في الحكومة القادمة حضروا للقائي وقالوا: إننا نريد دفع ما بذمتنا من حقوق شرعية لكم. لكنني فهمت قصدهم وهدفهم فقلت لهم: اذهبوا وأصلحوا أعمالكم، ولا حاجة لي بأموالكم)، صحيفة الإمام، ج١٤، ص ٣٠٣.

(٢) صحيفة الإمام، ج١٤، ص ٢٥٤.

الشورى أو خارجه، وتحريضهم على طرح بعض المسائل التي تزيد من حالة اليأس عند الشعب الإيراني» [١].

كما أشار الإمام إلى الأضرار الخطيرة التي تنتج عن التحليل الخاطئ لهؤلاء الأفراد السذج، فيقول:

«يجب ألا نفقد شخصيتنا من أجل كسب رضا بعض الليبراليين، فنعمد إلى طرح الأفكار والعقائد الخاطئة التي يمكن أن تجعل أمة حزب الله (الشعب الإيراني) تشعر بعدول الجمهورية الإسلامية عن مواقفها الأصولية.

والتحليل الذي يدعي أن الجمهورية الإسلامية لم تحقق شيئاً مهماً أو أنها كانت فاشلة، لن يؤدي سوى إضعاف النظام وفقدان الشعب لثقته به» [٢].

٢. حبُّ الدنيا

إنّ حبّ الدنيا والتمسك بمظاهرها، يُعد من أخطر الآفات التي تصيب العلماء والمفكرين والنخب في المجتمع، وتبعدهم عن أداء رسالتهم الشرعية ووظيفتهم الإلهية والوطنية.

كما أن الوساوس النفسانية للمحافظة على المنصب والمكانة الاجتماعية، والتي تظهر بأشكال مختلفة كحب النفس وحب السلطة،

---

(١) صحيفة الإمام، ج١٧، ص ٤٤٦.

(٢) صحيفة نور، ج١٧، ص ٢٦٠.

والتمسّك بالمظاهر الدنيوية، والسعي لحفظ الأموال وتكثيرها؛ كلّها تعد من عوامل إنزلاق خواص الحق وسقوطهم في حبال هوى النفس والمادة، ممّا يؤدي تدريجياً إلى إنزوائهم في المجتمع وابتعاد الناس عنهم، أو إلى تأثيرهم السيء على ثقافة الشعب والرأي العام.

فالرسول الأكرم صلى الله عليه وآله يقول: «حُبُّ الدُّنيا رَأْسُ كُلِّ خَطيئَةٍ» (١).

لأن حب الدنيا يُعدّ بداية للإنحطاط الأخلاقي والإنحراف عن طريق مقاومة الظلم وتحقيق الإصلاحات السياسية الاجتماعية، وتؤدي هذه الرذيلة في عمل خواص الحق إلى سعيهم المستمرّ لتحقيق مصالحهم وإشباع أهوائهم النفسانية، بدلاً عن اهتمامهم بتحقيق مصالح المجتمع الإسلامي وأداء تكليفهم القانوني والشرعي.

الإمام الباقر عليه السلام يقول: «ما ذِئْبانِ ضاريانِ في غَنَمٍ لَيْسَ لَها راعٍ، هذا في أوَّلِها وَهذا في آخِرِها ما أسْرَعَ فيها من حُبِّ الْمالِ وَالشَّرَفِ في دينِ الْمؤْمِنِ» (٢).

ويَرى الإمام الخميني أن عدم تزكية النفس هو السبب الأساس في رسوخ هذه الرذيلة في أخلاق وسلوك النخب والمسؤولين في المجتمع، وحول هذا الموضوع، يقول:

«على الأفراد الذين يتولّون مهمة تربية الآخرين في هذا العالم، تزكية

---

(١) أصول الكافي، ج٢، ص ٣١٥، الحديث١.

(٢) المصدر السابق، الحديث ٣.

أنفسهم أوّلاً... وهذه التزكية تكون ضرورية للحكام والسلاطين، ورؤساء الجمهورية وأعضاء الحكومة والقادة أكثر من الناس العاديين..، فإذا ما طغى أحد الأفراد وقَبَله الناس، أو طغى السلطان وقبل الناس سلطانه، أو طغى الرئيس وقبله الناس، فعندها سيشيع الفساد في البلاد وأحياناً يشيع الفساد في بلدان عدّة! فهذا الطغيان سيؤدّي إلى انهيار الدول وفسادها؛ لأن من يمتلك زمام الأمور فيها لم يزكي نفسه أولاً» [١].

وقد أشار قائد الثورة الإسلامية إلى حب الدنيا عند النخب في المجتمع وما يتركه من آثار مخرّبة على أصالة الثورة الإسلامية وماهيتها المعنوية في المحافل الإسلامية السياسية والدينية؛ «إنّ الغرق في المسائل المعيشية للناس، وتوفير التسهيلات اللازمة وحل المشاكل، بالشكل الذي يجعلنا نغفل عن ماهية الثورة وأهدافها، سيوجّه ضربة موجعة إلى قدرة الثورة وهيبتها، ويقلل من بريقها في العالم» [٢].

كما أن تقليل خواص الحق من جهودهم ومساعيهم الإصلاحية بين شرائح المجتمع المختلفة، يعدّ من أخطر الأضرار التي يسببها حبُّ الدنيا؛ لأن حبّ الخواص للدنيا ومظاهرها سيؤدّي تلقائياً إلى التمييز الطَبَقي في المجتمع، وسيزيد تدريجياً من ابتعادهم عن الشعب والمجتمع، وبالتالي يؤدّي إلى هزيمة الإسلام.

(١) صحيفة الإمام، ج١٤، ص ٣٩١ ـ ٣٩٢.

(٢) حديث ولايت، ج٢، ص ٢٨.

وحول هذا الموضوع يقول الإمام:

«لا سمح الله، إذا ما رأى الناس تغييراً في وضع رجال الدين، كأن شيدوا لأنفسهم بناءً أو يتغير سلوكهم بما لا يليق بشأنهم؛ بحيث يفقد الناس ذلك الشيء الذي يحملونه في قلوبهم لرجال الدين، فإن ذلك سيؤدي إلى زوال الإسلام وزوال الجمهورية الإسلامية!...

فلا تظنوا أن بضع سيارات تزيد من مكانتكم عند الناس، إذ أن أقصى ما يهم الناس ويتلائم مع ذوقهم العام هو أن تعيشوا حياة بسيطة... فلا سامح الله، إذا ما اشمأزت نفوس الناس منّا، فإن ضرر ذلك لن يقتصر علينا، بل سيلحق الضرر الإسلام أيضاً»[1].

إنّ الإمام يدرك تأثير ابتعاد العلماء والنخب عن حب الدنيا والتمسّك بمظاهرها؛ لأن المظاهر الدنيوية ستمنعهم من العمل بمهامهم وواجباتهم الأساسية، وتبعدهم عن أداء رسالتهم الإلهية؛ لذا يخاطبهم الإمام قائلاً:

«إذا أردتم مواجهة الباطل والدفاع عن الحق بلا خوف أو رعب، بحيث لا تؤثر قدراتهم وأسلحتهم المتطوّرة وشياطينهم ومؤامراتهم على معنوياتكم ولا تبعدكم عن ساحة المواجهة؛ عليكم أن تعتادوا على العيش البسيط، وإبعاد قلوبكم عن التعلّق بالمال والجاه والمنصب والمقام. فأغلب العظماء الذين قدَّموا لشعوبهم خدمات عظيمة، كانوا يعيشون حياة بسيطة

(١) صحيفة الإمام، ج١٩، ص ٣١٧ـ٣١٨.

بعيدة عن التعلّق بزخارف الدنيا.

أما أولئك الذين يعيشون أسراء أهوائهم النفسانية والحيوانية الرذيلة، فإنهم يتذللون ويعملون المستحيل لحفظها أو الوصول إليها» [١].

الشكل الآخر لمظهر حب الدنيا والتعلّق بالماديات ولذائذ الدنيا، يبرز بعد انقضاء المرحلة الصعبة لقيام الثورة وانقضاء مرحلة الحرب، وبداية مرحلة البناء والإعمار والتنمية مع كل ما تحمله من جاذبية وإغراء. فقد خرج كثير من المجاهدين والمقاومين مرفوعي الرأس من مرحلة المقاومة والحرب والجهاد؛ لكنهم في مرحلة البناء والتنمية غرقوا في ظلمات المظاهر الدنيوية الزائفة؛ وهذا الأمر يعدّ أسوأ وأخطر الآفات التي تصيب خواص الحق. وحول خطورة مرحلة انهيار وانحراف خواص الحق يقول قائد الثورة الإسلامية:

«لقد خبت إلى حد كبير النشاط والحماس الذي كنا نعيشه في السنوات الأولى لقيام الثورة، وتحققت الكثير من النجاحات التي أبرزت صورة الحياة الرغيدة، وبدأ الناس يتذوقون حلاوة هذه الحياة؛ وهذه مرحلة خطيرة. فأمير المؤمنين عليه السلام وصل إلى الحكم في مثل هذه المرحلة، ولذلك نهج البلاغة يُبين أكثر من غيره حياة الزهد والابتعاد عن مظاهر الدنيا التي كان يعيشها عليه السلام» [٢].

(١) صحيفة نور، ج١٩، ص١١.

(٢) جمهوری إسلامي، ٧٤/٢/١٠، ص ٣.

٣ـ التهاون والغفلة

إنّ عدم الاستثمار الصحيح للفرص الاستثنائية والحساسة في التاريخ وغفلة الخواص أو تهاونهم في مواجهة الظروف الحساسة في المجالات السياسية والتنفيذية، قد أدّى إلى توجيه ضربات موجعة بالمجتمع الإسلامي.

وقد أشارت الروايات الصادرة عن الأئمّة المعصومين عليهم السلام إلى إستثمار الفرص واعتبرتها غنيمة؛ واعتبرت فقدان هذه الفرص وتجاهلها خسارة عظيمة وحزناً أليماً.

الإمام علي عليه السلام يقول: «بَادِرِ ٱلْفُرْصَةَ قَبْلَ أنْ تَكُونَ غُصَّةً»[1].

إنّ تهاون خواص الحق والعلماء العاملين وغفلتهم في السنوات الأخيرة التي سبقت الثورة الإسلامية، قد أدت إلى توجيه ضربات موجعة، وسببت خسائر كبيرة في المجتمع الإسلامي.

وحول تهاون العلماء والمفكرين وغفلتهم في عصر الحركة الدستورية يقول الإمام:

«لقد بدأت الحركة الدستورية بقيادة أفراد ملتزمين بالإسلام، لكن سَيْطَر عليها بعد ذلك من هم بعيدين عن الإسلام، فشوهوا صورة الإسلام إلى الحد الذي شاهدتم. فلو تصدى العلماء لقيادة الحركة الدستورية،

(١) بحار الأنوار، ج ٧١، ص ٢٣٧.

وتصدى المؤمنون، وتصدى المفكرون الملتزمون، وتصدى المسلمون الملتزمون، وسيطروا على المجلس ولم يتركوه لسيطرة الآخرين؛ لَما وصلنا إلى هذا الحال، ولَما تعرضت البلاد للدمار، ولَما فقدنا عزتنا وكرامتنا» [(١)].

كان الشهيد المدرّس من عظماء التاريخ المعاصر الذي قام بنشاطات كثيرة لمواجهة نظام رضاخان البهلوي. وحول تهاون بعض رجال الثورة الملتزمين وعدم تأييدهم لنشاطات المرحوم المدرّس يقول الإمام:

«إنّ أحد الاشتباهات التي وقع فيها الشعب، أو أولئك الذين تقع عليهم مسؤولية توعية الشعب، هو عدم تأييدهم للمرحوم المدرس. لقد كان المدرّس الرجل الوحيد الذي واجه (رضاخان) وعارض سياساته. وكان في المجلس من يؤيد المدرّس في مواقفه، وبعضهم كان يعارض بشدة مواقف المدرس.

وفي ذلك الوقت كانت توجد بعض الأطراف التي كان بإمكانها تأييد المدرّس وحمايته، ولو أيدوه لكان بإمكان المدرّس بمنطقه القوى ومعلوماته الجيدة وشجاعته وجميع صفاته، القضاء على شر هذه العائلة (البهلوي)، وإسقاط حكمها، لكن لم يحدث هذا» [(٢)].

إنّ الأوضاع السياسية المضطربة بين سنة (١٩٤١م و ١٩٤٣م) وبعض

---

(١) صحيفة نور، ج١٢، ص ٧.

(٢) صحيفة الإمام، ج ٤، ص ٣٦٩.

الأحداث السياسية التي وقعت بعدها، كانت من الفرص الاستثنائية المهمّة التي سنحت للعلماء والقادة السياسيين في المجتمع الإيراني؛ لكنهم فرّطوا فيها ولم يغتنموها.

فخروج رضا خان من إيران والفراغ الذي برز في الحكومة المَلَكيِّة والشاهنشاهية [١]، كان من أهم الأحداث وأفضل الفرص التي كان من الممكن للعقلاء والعلماء في إيران استغلالها بالتخطيط الصحيح والاستفادة من الطاقات المليونية للشعب لتغيير الحكومة في إيران.

كما سنحت فرص أُخرى بعدها؛ لكن تهاون الخواص وتماهلهم في توعية الشعب، وغفلتهم عن استثمار هذه الفرص المناسبة في التخطيط للقضاء على هذه السلالة الحاكمة؛ كان السبب الرئيسي لعودة سلطة عائلة بهلوي على إيران.

ويتأسّف الإمام لغفلة الخواص وما جلبته من مصائب على الشعب الإيراني فيقول:

«لقد أهدر سلفنا الصالح فرصة مهمّة عند خروج السلف الخبيث [٢]، وأهدروا بعدها فرصاً أخرى، حتى حلّت بنا هذه المصائب.

إنّ ما يبعث على الأسف، عندما دخل الحلفاء إلى إيران وخرج منها

(١) للتعرف أكثر على الأوضاع السياسية الاجتماعية في إيران في هذه الفترة؛ راجع: تاريخ إيران السياسي المعاصر، جلال الدين مدني، ص ٢٦٢ ـ ٢٨٠. ترجمة سالم مشكور

(٢) رضا خان بهلوي.

رضا شاه، أننا لو كنا قد تظاهرنا بصوت عالٍ ورفضنا تنصيب ابنه في الحكم لما نصّبوه حاكماً.. ففي تلك الفترة لو قام أحد الناس مثلاً، أو أحد العلماء، وخرج معه عدد من الأشخاص وتظاهروا بصوت عال إننا نرفض عودة هذه السلالة الحاكمة...

لقد كانت هذه إحدى الغفلات التي حدثت في تاريخ إيران، ولو أعدنا التاريخ ولم تحدث فيه مثل هذه الغفلة، لما كنا قد ابتلينا بمثل هذا الكلام والأوضاع [١]. لقد أشرت إلى هذه الغفلة العظيمة التي وقع فيها رجال السياسة والعلماء وسائر طبقات المجتمع، ممّا أدى إلى تسلّط هذا الشخص [٢] على رقابنا، حتى وأنهم أيدوه بعد ذلك» [٣].

عادةً ما تحدث بعد كل انتصار، حالة من الغرور المختلط بالغفلة عند المقاومين والمجاهدين، فيظنّوا نهاية العدو بهذا الانتصار. ممّا يوفر للعدو المهزوم والجريح فرصة استثنائية للتعويض عن هزيمته بالاستفادة من غفلة النخب، فيعد العدة للبدء بهجوم جديد عليهم؛ لهذا حذر الإمام الشعب الإيراني بعد شهر واحد من انتصار الثورة الإسلامية، فقال:

«علينا أن نحافظ بشدة على حالة الوعي التي برزت عند شعبنا، ونسعى لاستمرارها؛ لأننا لا نزال نعاني من صدمة هذه الغفلات التي وقعنا فيها طيلة

---

(١) صحيفة الإمام، ج٢، ص ٢٠٨.

(٢) هذا الخطاب ألقاه الإمام أثناء إقامته في باريس خلال فترة اشتعال الثورة.

(٣) محمد رضا بهلوي.

ثلاثمئة سنة»[1].

إنّ أعظم اشتباه وتهاون وغفلة وقع فيها خواص الحقّ بعد انتصار الثورة الإسلامية، كان عند انتخاب أول رئيس للجمهورية في البلاد؛ إذ ولأسباب عديدة انتخب الشعب رئيساً للجمهورية بعيداً عن مبادئ الثورة والسياسات العامة لنظام الجمهورية الإسلامية، وتعرّض النظام طيلة فترة رئاسته لضربات موجعة عسكرية وسياسية وثقافية.

وبعد عزله دعا الإمام جميع طبقات الشعب للاستعداد إلى انتخاب رئيس جديد للجمهورية يكون ملتزماً بمبادئ الثورة وأصولها، فقال:

«علينا جميعاً رجالاً ونساءً، وكل مكلّف كما تجب عليه الصلاة، يجب عليه الاسهام بتعيين مصيره بيده. لقد عانينا الكثير من الاشتباهات، التي جلبت لنا جميع هذه الويلات والاضطرابات، لذا علينا أن نتجنب الوقوع في الاشتباه مرةً أخرى. اسعوا لانتخاب رئيس للجمهورية ملتزم بمبادئ الإسلام ومنهجه، وعلى جميع الأحزاب والمنظمات وجميع علماء البلاد وجميع أفراد الشعب أن يسهموا في هذا الأمر الحياتي الخطير، ونتجنب الاشتباه مرةً أخرى، حتى لا نضطر بعد فترة إلى عزله، وتعود الأوضاع مرةً أخرى إلى ما كانت عليه»[2].

---

(١) كوثر، ج٢، ص ١٧٧، ١٧٨ و ١٧٩.

(٢) صحيفة الإمام، ج١٥، ص ٢٨.

٤ـ الابتعاد عن السياسة

إنّ إحدى الخطط والدعايات السيئة التي مارسها الاستعمار وخواص الباطل، هي تشويه تدخل العلماء والمفكرين في أمر السياسة والاجتماع، مما ترك وللأسف أضراراً كبيرة، دفعت كثير من العلماء والمفكرين إلى الابتعاد عن الأحداث والتحولات السياسية والاجتماعية عند المسلمين، فأصبحوا ينظرون إلى أن تدخّلهم في السياسة أمرٌ لا يليق بشأن الفقيه أو رجل الدين. وحول هذا الموضوع يقول الإمام:

«لقد روجّوا كثيراً لعدم تدخّل رجل الدين بالسياسة، حتى صدّقه الكثير من العلماء، لدرجة أنهم ما أن سمعوا كلمة حول هذه الأمور إلاّ وقالوا: إنّه من السياسة، ولا علاقة لنا بالأمر» [١].

«لقد فصلوا الإسلام حتى عن المسلمين أنفسهم، وحتى عن خدمة القرآن والمتمسّكين به، وحتى أولئك المتمسّكين بالقرآن لم يكن من السهل إفهامهم ـ بعضهم ـ أن الإسلام دين السياسة، بل لعلّهم كانوا يرون في ذلك عيباً على الإسلام» [٢].

ويذكر الإمام حادثة وقعت في بداية النهضة الإسلامية:

«... في بداية رواج مثل هذه المسائل، كان أحد رفقائنا المخلصين جداً، والصالحين جداً، ومن المجدّين في العمل يقول لي عندما تحدثت

---

(١) صحيفة الإمام، ص ٢٠٩.

(٢) صحيفة نور، ج٥، ص ٢١.

عن ضرورة التحقيق في قضية معينة: مالنا وهذا الموضوع؟ إنّه أمر سياسي لا يتعلّق بنا؟!»[١].

ورداً على بعض الأفراد الذين يتذرّعون بحجج مختلفة للابتعاد عن السياسة، وتأسياً بسيرة الأئمة المعصومين والأنبياء الإلهين يقول الإمام:

«ليس من الصحيح القول بأن الرجل الصالح هو من يعزل نفسه في زاوية أو جانب ليسبّح فيه أو ينشغل في المسجد بالذكر! إذ لو كان الإنسان الصالح هكذا لفعل ذلك الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وأميرالمؤمنين عليه السلام، لكننا لم نسمع أبداً في التاريخ أن أحداً إدعى أن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين قد عزلوا أنفسهم عن الأحداث»[٢].

وحول تشكيل الحكومة من قبل الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله يقول الإمام:

«لقد أقدم الرسول صلى الله عليه وآله... على تشكيل الحكومة، مما يعني اهتمامه بأمر الحكومة واهتمامه بأمر السياسة؛ إذ أن تشكيل الحكومة لا يعني سوى التدخل في السياسة، والولوج في مجالها. ولهذا أقدم الأعداء على ترويج هذه المسألة بين المسلمين إلى درجة أن اعتقد بها حتى بعض الخواص، بأن اهتموا أنتم بشؤون المسجد والذكر فيها، ونهتم نحن بالحكومة، حتى يتمكنوا من التسلّط علينا وانزال الويلات بنا، وانزال المصائب بالمسلمين

(١) المصدر السابق، ج ٢٠، ص ٣١.

(٢) صحيفة نور، ج١٧، ص ٨٤.

كما تشاهدونه الآن» [١].

ومن الآفات التي تظهر نتيجة لابتعاد خواص الحق عن السياسة نذكر: ظهور البدع في الدين، الانحراف عن تنفيذ السياسات الإسلامية، والأهم تغلغل عملاء الأعداء والأشخاص غير الأكفاء في المناصب السياسية الحساسة في الحكومة الإسلامية.

وفي وصيته السياسية الإلهية يؤكد الإمام على ضرورة حضور النخب في المجالات السياسية الاجتماعية، فيقول:

«وأوصي العلماء المحترمين ـ لاسيما المراجع العظام ـ أن لا يعتزلوا قضايا المجتمع، خصوصاً عند انتخاب رئيس الجمهورية أو نواب المجلس، وأن لا يكونوا غير مكترثين بهذه الأمور. فكلكم رأيتم - والأجيال اللاحقة ستسمع بذلك ـ كيف قام ممتهنو السياسة من عملاء الشرق والغرب بعزل الروحانيين ـ الذين وضعوا الحجر الأساس للملكية الدستورية بعد أن تحملوا المشاق والمعاناة ـ وكيف أن الروحانيين أيضا ابتلعوا الطعم الذي ألقاه لهم ممتهنوا السياسة، فظنوا أن التدخل في أمور البلاد والمسلمين مما لا يليق بمقامهم، فانسحبوا من الميدان تاركين إياه للمأسورين للغرب» [٢].

النقطة الأخرى التي اهتم الإمام بتحليلها بدقة وبعد نظر، والتي تعد من

(١) صحيفة الإمام، ج٢٠، ص ٤١١ و ٤١٢.

(٢) صحيفة نور، ج٢١، ص ٤٢٠.

العلـل والـدوافع الأساسـية لابتعـاد بعـض الخـواص عـن الـسياسة، هـي استفادتهم من عنوان (التكليف الشرعي) للهـروب مـن المواجهـة وتحمـل مسؤولية هداية المجتمع، وحول هذا الموضوع يقول الإمام:

«يجب أن تتصفوا بالوعي والـذكاء، وأن لا تجعلـوا أنفـسكم لعبـة بيـد الآخرين، وتتذرعوا بأن تكليفكم الشرعي يقتضي هذا الأمر، وأن وظيفتكم الـشرعية كـذا وكـذا! فالـشيطان أحيانـاً هـو الـذي يعـيّن للإنـسان تكليفـه ووظيفته.[١]

.... فأحدهم يرى تكليفـه الـشرعي بهـذا الـشكل، وآخـر يـرى تكليفـه الشرعي بذاك الـشكل، وهـذه مـصيبة، إنهـا مـصيبة الإسـلام، فوجـود مثـل هؤلاء المعممين مصيبة على الإسلام.. بأن يجلسوا ويعينوا لأنفسهم تكليفـاً شرعياً، إن هذا عمل الكسالى والعجزة!»[٢].

ويذكر الإمـام حادثـة حـول ابتعـاد العلمـاء عـن المـشاركة فـي الأمـور السياسية، وتبريرهم غير المنطقي لذلك فيقول:

«كان أحد العلماء رحمه الله يقول لي: إنّ قلبي لا يحترق على الإسلام أكثـر من صاحب الأمر عجل الله تعالى فرجه الشريف، فهو يرى الأوضاع أيضاً، فلماذا لا يتولى هو الأمر، ولماذا أقوم بذلك أنا!

إنّ هذا منطق الأفراد الذين يريدون التملّص من المـسؤولية، والإسـلام

(١) جهاد أكبر، ص ٣١.

(٢) صحيفة الإمام، ج٢، ص ٣٧٢.

يرفض مثل هذا المنطق، ولا يعترف بهؤلاء، لأنهم يريدون التملّص من المسؤولية» [١].

إنّ ابتعاد النخب والمثقفين في نظام الجمهورية الإسلامية عن السياسة، وعدم مشاركتهم في النشاطات السياسية والاجتماعية، خاصة النشاطات التي تختص بهم؛ سيؤدي إلى وصول الأفراد غير الأكفاء والمنحرفين، إلى المناصب السياسية المهمة في البلاد.

وحول ضرورة مشاركة الأفراد الأكفاء في مجلس الخبراء يقول الإمام:

«إنّ مجلس الخبراء تكليف على الجميع، فالذين يريدون المشاركة كخبراء عليهم الذهاب وتسجيل أسمائهم، أي يذهب الأفراد الأكفاء لتسجيل أسمائهم حتى ينتخبهم الشعب. وعلى كل حال، فيما لو ابتعدنا جميعاً عن الحضور الفعال في الساحة، ولم نفكر في كيفية إنقاذ البلاد من شر المفسدين.

وإذا لم نفكر بهذا الأمر ـ لا سمح الله ـ فإن من ليس لهم تأثير كبير في الأوضاع في الوقت الحاضر، قد يصبح لهم تأثير كبير على مستقبل الشعب في المستقبل، وبالتالي سيبتلي الشعب بوجود مثل هؤلاء الأفراد، الذين لا يرحمون صغارنا ولا كبارنا» [٢].

وحول مجلس الشورى الإسلامي الذي يُعد أهم أركان نظام الجمهورية الإسلامية، يشير الإمام دائماً إلى أهميته وخطورته فيقول:

---

(١) المصدر السابق، ج١٣، ص ٣٤٠.

(٢) صحيفة الإمام، ج١٧، ص ١٠٢.

«المراجع مسؤولون، العلماء مسؤولون، أئمة الجماعة مسؤولون، الخطباء مسؤولون، التجار مسؤولون، الجامعيون مسؤولون، طلاب العلوم الدينية مسؤولون، العمال مسؤولون، الجميع مسؤولون، كافة طبقات المجتمع اليوم مسؤولون.. فإذا ما ابتعد المؤمنون، وابتعد الملتزمون بالإسلام عن السياسة وحل محلهم الآخرون، كما حدث في بداية قيام الحركة الدستورية عندما ابتعد الأفراد الملتزمون، وسيطر غير الملتزمين بالإسلام على الحركة الدستورية [١].

فإذا ما تهاونا في مسألة الانتخابات، فاطمئنوا أنهم سيوجّهون لنا ضربة موجعة من خلال المجلس» [٢].

٥ـ الخوف والقلق

إنّ الخوف من التعذيب وفقدان الأموال والأملاك، أو الخوف من القتل هي آفة تبعد العلماء الصالحين عن أداء مسؤولياتهم في هداية الناس نحو الصلاح. فقد تعرّضت حتى اليوم الكثير من الأحزاب والمنظمات الجهادية الإسلامية إلى الهزيمة والفشل بسبب خوف الناس وبعض العلماء من القتل، أو بسبب حرصهم على المحافظة على أموالهم ومكانتهم الاجتماعية.

---

(١) صحيفة الإمام، ج١٢، ص ١٨٢ ـ ١٨٣.

(٢) المصدر السابق، ج١٨، ص ٢٧٦.

كما أن الكثير من المجاهدين وخواص الحق قد أصيبوا بمثل هذا الضعف والتزلزل في فترة جهاد الشعب الإيراني بقيادة الإمام الخميني ضد النظام الملكي الظالم، فابتعد الكثير منهم عن الساحة السياسية بسبب الخوف والرعب من الأساليب الوحشية التي كان يمارسها جهاز (الساواك) [١]، وفضّلوا الصمت من أجل حفظ حياتهم وأموالهم.

وحول هذا الموضوع، يقول الإمام:

«طيلة فترة هذه النهضة، ظهر أشخاص من المؤمنين المصلّين والخطباء والمحترمين، لكنهم ما أن بدأت حملة جهاز الاستخبارات (الساواك) بتعذيب المجاهدين، حتى اختاروا الصمت والركون إلى الراحة والإنزواء» [٢].

وحول التأثير السلبي الخطير لخوف خواص الحق من أداء مسؤولياتهم في الثورة والجهاد، يقول قائد الثورة الإسلامية:

«.. إنّ خواص الحق أو غالبيتهم العظمى يتغيرون في مجتمع ما، بحيث يتمسّكوا ويهتموا بالدنيا ومظاهرها، ويضطروا للقبول بحكومة الباطل، والابتعاد عن مواجهته، واجتناب تأييد الحق أو تعريض أنفسهم للخطر من أجله، كل ذلك خوفاً على أرواحهم أو خوفاً من فقدان أموالهم، أو فقدان مناصبهم ومكانتهم، أو خوفاً من كراهية الناس لهم، أو خوفاً من العزلة

---

(١) جهاز استخبارات نظام الشاه (المترجم).

(٢) صحيفة نور، ج١٥، ص ٤٦.

والانزواء، وعندما يصبح الوضع بهذا الشكل، تبدأ مرحلة استشهاد الإمام الحسين بن علي عليه السلام» [١].

وعن علة وسبب ظهور عنصر الخوف عند بعض المؤمنين، يقول الإمام علي عليه السلام: «شِدَّةُ الجُبْنِ من عَجْزِ النَّفْسِ وَضعْفِ الْيَقين» [٢].

إنّ اجتناب العلماء وقادة المجتمع عن مواجهة الظلم، وصمتهم مقابل الجور والتمييز، أو مقابل محرّفي الدين، بسبب خوفهم على أرواحهم أو خوفهم على فقدان أموالهم أو فقدان مكانتهم السياسية الاجتماعية؛ يعد عاملاً مهماً في ظهور الاضطرابات المختلفة وانحراف المسلمين عن جادة الحق على مدى مراحل التاريخ الإسلامي. وعند مراجعة التاريخ الإسلامي ندرك جيداً أن خواص الحق لو استغلوا الفرص المناسبة التي تهيأت لهم، وسعوا بجد وبدون خوف أو قلق، وبعيداً عن الاضطراب الدنيوي، لتمكنوا من إيجاد تحوّل عظيم في تاريخ الإسلام والشيعة؛ ويمكن أن نلمس هذا الأمر عند تحليلنا للتاريخ المعاصر أيضاً.

وأثناء شدّة ممارسات النظام البعثي في العراق ضد الطلاب المجاهدين والثوريين، اعترض الإمام بشدة على هذه الممارسات ودعا العلماء الآخرين أيضاً إلى الاستكبار والاعتراض. لكن أحد علماء الحوزة في النجف أرسل رسالة إلى الإمام يخبره فيها، أني في هذه الظروف لا أرى

(١) گزيده أخبار، رقم ٦١١، ص ١٢ و ١٣.

(٢) غرر الحكم، ج ٤، ص ١٨٥، حديث ٥٧٧٣.

مصلحة في مواجهة هذا النظام وإني أخشى المواجهة.. فأجاب الإمام على هذا الموضوع قائلاً: «أنا لا أعلم ممّا يخاف وهو في هذا العمر» [(١)].

٦ـ إتباع العوام

ومن الأخطار الجدّية التي تواجه المجتمع بسبب انحراف خواص الحق، هي إتباع الخواص لعوام المجتمع، وبعبارة أخرى كون الخواص تابعين لإرادة العوام، أو تطبيق سياسات الخواص وأهدافهم بما يتلائم مع رغبات العوام وأهوائهم. إذ أن إتباع الخواص لإرادة أفراد لا يدركون جيداً الظروف السياسية والاجتماعية للمجتمع، سيؤدي إلى وقوع الخواص في خطر إتباع العوام.

وتبرز هذه الآفة نتيجة للتفكير الساذج وضعف الرؤية في تحليل بعض المسائل السياسية والحكومية المعقدة، أو بسبب خديعة العوام، وسعي الخواص لكسب قبول العوام بدلاً من تحمّل مسؤولياتهم في هداية المجتمع وإرشاده.

وخلال فترة السنوات الثمان من الدفاع المقدس، وعندما كانت الجمهورية الإسلامية تتعرض إلى أنواع الحصار الاقتصادي، كانت الدولة تستفيد من المساعدات الشعبية لإدارة الحرب، إضافة إلى استفادتها من جباية الضرائب في تحسين اقتصاد البلاد، لكن بعض الخواص التابعين

---

(١) تحليلي از نهضت إمام خميني، ج٣، ص ٤٩٢.

لإرادة العوام، إنعدمت عندهم الرؤية السياسية الصحيحة، ولم يدركوا جيداً الظروف والأوضاع السياسية والاقتصادية التي تمر بها البلاد، فاعترضوا على استفادة الدولة من الضرائب، وادعوا أنه يمكن تحسين النظام الاقتصادي في البلاد عن طريق أخذ سهمين من الحقوق الشرعية، فأشار الإمام إلى هذا الضعف والاضطراب قائلاً:

«أحدهم يكتب بضرورة عدم جباية الضرائب، فانظروا إلى مقدار جهلهم! إذ أننا لا نستطيع أن نحصي كم تكلفنا هذه الحرب من مئات الملايين في اليوم. فهل يمكن أن نوفر هذه المئات من الملايين كلفة الحرب عن طريق سهم الإمام؟ وهل يمكننا جمع الناس وإجبارهم على دفع سهم الإمام؟ فسهم الإمام بمقدار يكفينا لسد حاجة الحوزات العلمية فقط لا أكثر، ولو زاد قليلاً عن هذه الحاجة يدفع إلى الحكومة.

فأحياناً يصرّح شخص عن جهل لا يجوز جباية الضرائب؛ بل عليهم أخذ سهم الإمام، فكيف ذلك؟ فمن أين نأتي بهذا المقدار من سهم الإمام؟ وأين نجد سهم الإمام وسهم السادة بهذا المقدار الذي يمكننا من إدارة الدولة وإدارة البلاد؛ كيف يمكن إدارة هؤلاء الذين على الحكومة مسؤولية إدارتهم والإنفاق عليهم، إن السادة يتكلمون دون تعقل، فعتدما يذهب إليهم شخص ويقول لهم كلاماً يصدقونه بسرعة» (١).

(١) صحيفة الإمام، ج١٨، ص ٢٥٥.

والشكل الآخر من إتباع الخواص للعوام، هو إعجاب الخواص وتسليمهم الكامل بكلام ونظريات المفكرين التابعين للغرب، إذ تؤدي هذه الآفة إلى فقدان الخواص لدوافعهم الدينية والإلهية، وبالتالي ضعفهم وانحرافهم الفكري.

وبعد أن يبيّن الإمام نشاطات المفكرين غير الملتزمين، يتأسف على النخب التي تفتقد إلى الاستقلالية في الرأي وتلتزم بإتباع هذه الطبقة من الأفراد عديمة الفكر والتدبير.

«.... غداً عندما تفتح الجامعات أبوابها، سنرى مجدداً ظهور بعض الأفراد الذين يعتبرون أنفسهم من المفكرين، وممّن قدّموا الخدمات الجليلة للإسلام، وممّن قدموا الكثير للشعب، وفي خدمة الشعب، فيسعوا إلى الحيلولة دون تنامي الدوافع الدينية عند الشعب إلى الحد المطلوب، وأصدقاؤنا في غفلة عن هذا، ولا يدركون ضرورة عدم التفريط بهذه الطاقات، فهي طاقات إلهية» [(١)].

٧. ظهور الاختلاف

إنّ الاختلافات الداخلية بين المسلمين تعدّ من أخطر الآفات التي ظهرت في المجتمع الإسلامي على مدى مراحل التاريخ، وجلبت حتى الآن الكثير من الويلات والأحداث المذلة للمجتمع. خاصة إذا ما وقعت

(١) صحيفة نور، ج٩، ص ١١٨.

هذه الاختلافات والفرقة بين الشخصيات البارزة والعلماء والمسؤولين في الحكومة الدينية.

وحول الآثار المخربة للاختلافات يقول الإمام علي عليه السلام:

«اَلْخلافُ يَهْدِمُ الرَّأْيِ»(١).

وعند مراجعة الوصايا والآراء السياسية الاجتماعية للإمام، نرى بوضوح تأكيده على الدعوة إلى الوحدة واتفاق الآراء والحيلولة دون وقوع الاختلافات، حتى شغل هذا العنوان السهم الأكبر من سائر العناوين والمواضيع الأخرى التي أكد عليها في وصاياه.

فالإمام ومنذ الأيام الأولى لقيام النهضة الإسلامية وحتى الأيام الأخيرة من حياته الشريفة، قد دعا جميع المسلمين بكافة طبقاتهم إلى الإتحاد والانسجام في مواجهة مؤامرات أعداء الإسلام ومخططاتهم المشبوهة؛ كما أكد على ضرورة إتحاد قادة النهضة وأصحاب الضمير الحي، وتدعيم أصر الإتحاد بين الشعب ورجال الدين، فقال:

«إذا ما فرّطتم وفرط الشعب بهذه الطائفة من العلماء ورجال الدين، فسيؤول مصيركم إلى ما آل إليه مصير الحركة الدستورية، فبعد أن قام رجال الدين بهذه النهضة وقطعوا دابر الاستبداد، عادوا مرة أخرى وتركوا هذه الحركة بيد الآخرين، بعد أن فقد الشعب إتحاده، ولم يلتزم بتأييد

---

(١) نهج البلاغة، كلمات قصار، رقم٢٠٦.

رجال الدين وإطاعتهم»[١].

يمكن البحث عن العلل الأساسية للاختلافات بين خواص الحق، في اختلافهم في رؤاهم وتحليلاتهم لمختلف المسائل السياسية؛ لكن توسيع دائرة الاختلاف في الآراء والمناهج واستمرارها في مجال وضع السياسات العامة وتطبيق القوانين، سيؤدي إلى إضعاف القوى الداخلية في الدولة الإسلامية؛ لذا كان الإمام يحذر دائماً من هذا الموضوع:

«إذا ما اختلفنا في الأسلوب واختلفنا في الرؤى، فعلينا الجلوس مع بعضنا ومناقشة هذا الاختلاف في المسائل المختلفة في جو هادي حتى نتمكن من حلّها؛ إذ ينبغي أن نحل هذه المسائل بالتفاهم، لا بالتمسك بآرائنا والانعزال بمؤيدينا بحيث يتخذ كل منّا طرفاً معيناً، ويسعى كل منا إلى إضعاف الآخر، وبالتالي السعي إلى إضعاف دولتنا الإسلامية»[٢].

الموضوع الآخر الذي يؤدّي إلى اختلاف خواص الحق، هو حب النفس والتمسك بالرأي، مما يجلب آثاراً سلبية على المجتمع؛ بحيث تؤدي هذه الآفة إلى تقابل الخواص فيما بينهم، واعتبار أحدهم الآخر رقيباً له، إلى درجة أن لا يتحمّل أحدهم الآخر.

«لا سمح الله إذا ما أصبحت أهواؤنا النفسية سبباً لأن يتحول العتب إلى شكوى، والشكوى إلى الاختلاف، فعندها علينا أن نجلس في عزاء بلادنا،

(١) صحيفة نور، ج١٥، ص ٢٢٢.

(٢) صحيفة نور، ج١٤، ص ٣٨.

وأن نتحمل مسؤولية ذلك؛ لأننا لم نخالف أهوائنا النفسية. عليكم الإتحاد مع بعضكم البعض، لأن كل العالم ضدكم إلاّ القليل جداً منهم! فإذا لم يتحد بعضكم مع البعض، وبدأتم تُنخرون من الداخل، فلاشك أن هذه المسائل ستظهر بعد فترة بشكل أكثر سوءاً» (١).

ويرى الإمام إن الاختلافات الداخلية بين خواص الحق ستؤدي إلى ابتعاد بعضهم عن البعض الآخر، وستنمو في ظل هذا الفراغ بعض المجموعات التابعة للعوام، أو تغلغل بعض خواص الباطل بالشكل الذي يؤدي في النهاية إلى تغلغل الأعداء وتأثيرهم في المجتمع.

ويؤكد الإمام على المحافظة على إتحاد هذه الشريحة المؤثّرة والقادرة على تغيير التاريخ؛ ثم يبيّن تأثير الاختلاف بينهم، فيقول:

«.. حقاً إنّ هزيمة أي مجموعة من العلماء والطلاب الثوريين والروحانيين و(روحانيت مبارز) و(جامعة مدرسين) هل ستضمن انتصار أي طرف من هذه الأطراف؟ فالطرف المنتصر حتماً لن يكون من رجال الدين، وحتى لو ارتبط هذا الطرف برجال الدين، فإلى أي فكر أو شريحة من رجال الدين سيلتجأ.. لم أكن أبداً قلقاً من المناقشات الحادة بين الطلاب في فروع الفقه وأصوله، لكنني قلق من التقابل والتعارض بين الأطراف المؤمنة بالثورة لئلا ينتهي إلى سيطرة الطرف الذي يركن إلى الراحة والرفاه (٢).

---

(١) المصدر السابق، ج١٨، ص ٣٦.

(٢) صحيفة الإمام، ج٢١، ص ٢٨٧ و ٢٨٨.

فلو ظهر ـ لا سمح الله ـ في هـذا النظـام شخـصاً أو مجموعـة تفكـر بـلا يبب في حذف الآخرين أو تشويه صورتهم، وتقدّم مصلحة جناحه وخطه على مصلحة الثورة، فإنّه حتماً وقبل أن يوجّـه ضـربة إلـى رقيبـه أو رقبائـه سيوجه هذه الضربة إلى الإسلام والثورة»[١].

(١) المصدر السابق، ص ١٧٩.

الفصل الثالث: العوام

تعريف

في هذا القسم من البحث يمكن أن نتوصّل إلى تعريف لاصطلاح العوام بإتباع نفس المنهج الذي اتبعناه في تعريف ووصف خواص الحق من خلال الاستفادة من دراسة جديدة للنظريات السياسية للإمام والاصطلاحات التي استخدمها في وصف بعض الأشخاص الذين لم يدركوا بشكل صحيح الأحداث المضطربة التي مرت بها الثورة الإسلامية، وتثبيت النظام والدفاع المقدس، والقضايا الإسلامية المقدسة، ودور الإمام والثورة.

ومن العبارات والاصطلاحات التي يمكن استخراج تعريف ووصف (للعوام) نذكر منها: (الداعون إلى السكوت) [١]، (المسلمون ذوو النظرة الواحدة) [٢]، (القاعدون ذوو الفكر المحدود) [٣]، (ذوو الفهم المنحرف

---

(١) صحيفة الإمام، ج٢٠، ص ٣٣٦.

(٢) المصدر السابق، ج١٥، ص ٢١٤.

(٣) المصدر السابق، ج٢١، ص ٩٣.

الجاهلون بنظام الحكومة الإسلامية) [١]، (الجاهلون بالتحولات المؤثرة في الإسلام) [٢]، (أهل صلاح لكن ذوو اعوجاج فكري) [٣]، (الأصدقاء الجهلة) [٤]، (عقلهم أقل من علمهم) [٥]، (مسلمون وعلماء لكن رؤيتهم السياسية ناقصة) [٦]، (ليس عندهم سوء نيّة لكن معلوماتهم ناقصة) [٧]، (الأصدقاء الذين لا يدركون دقة المسائل) [٨].

النقطة المشتركة في جميع هذه العبارات والأوصاف هي ضعف الرؤية السياسية عندهم بالنسبة لمسائل الثورة السياسية، وعدم اهتمامهم بجامعية الإسلام وشموليته.

للعوام أيضاً ـ كما هو الحال في الخواص ـ درجات معينة تبعاً لعملهم ومواقفهم بالنسبة لأفكار الإمام ونظرياته؛ منهم الأفراد الذين التزموا الصمت واللامبالاة في قبال التحولات السياسية والأحداث الصعبة التي مرت على الثورة والحرب، المجموعة الأخرى الأفراد الذين اتخذوا

(١) المصدر السابق، ج ص ٤٤٤.
(٢) المصدر السابق، ص ٤٠٨.
(٣) المصدر السابق، ج١٥، ص ٣١.
(٤) صحيفة الإمام، ج٨، ص ٤٧٩.
(٥) المصدر السابق، ج١٤، ص ٤٥٩.
(٦) المصدر السابق، ج٨، ص ١٨٩.
(٧) المصدر السابق،ج٨، ص ١٨٩.
(٨) المصدر السابق، ص ٤٨٠.

موقف العداء من الإمام والثورة، ووقفوا في صف الأعداء.

أما المجموعة الثالثة وهي التي قصدها الإمام بخطابه أكثر من غيرها، هم الأفراد الذين قبلوا الإمام والثورة الإسلامية لكنهم عجزوا عن فهم مؤامرات الأعداء وإدراك المراحل الصعبة والمعقدة التي مرت بها الثورة وفترة تثبيت النظام الإسلامي، فاتخذوا منها مواقف تنم عن جهل بالواقع السياسي.

وبعد أن ينتقد الإمام أفكار هذه المجموعة ويوجه النصيحة لهم، يأسف لحالهم [١]، ولعل سبب أسف الإمام هو أن هذه الشريحة الاجتماعية، إذا ما امتلكت التحليل والبصيرة والمعرفة الصحيحة فستصبح ضمن مجموعة خواص الحق، وتساهم بإيجابية في تطور وتعالي النظام الإسلامي؛ بدلاً من التشكيك في نظام الجمهورية الإسلامية والحيلولة دون استمرار الحركة التكاملية للثورة الإسلامية.

وفي تعريفه للعوام، يقول قائد الثورة الإسلامية:

«العوام هم الأفراد الذين لا يهتمون بمعرفة الطريق الصحيح والحركة الصحيحة، ولا يهتمون بفهمها، وتدقيقها، وتحليلها، وإدراكها..» [٢].

وينقل قائد الثورة حادثة تبين أحد المصاديق التي تميز العوام والخواص في فهم المسائل السياسية:

---

(١) كمثال راجع؛ صحيفة الإمام، ج١٦، ص ١٣٩و ج٢١، ص ٤٤٣.

(٢) گزيده أخبار، العدد: ٦١١، ص ٦و ٧.

«... قبل انتصار الثورة وأثناء فترة النفي في مدينة (إيرانشهر) كان يأتي للقائي باستمرار عدد من الأفراد من إحدى المدن القريبة، أحدهم كان سائقاً، والآخر له وظيفة أخرى، ولم يكونوا من أهل الثقافة والمعرفة، وحسب الاصطلاح يطلق عليهم (عوام) لكنهم في الواقع كانوا من (الخواص). وكانوا يأتون باستمرار للقائي في ايرانشهر وينقلوا لي نقاشهم مع رجل الدين في مدينتهم، الذي كان من أهل الصلاح، لكنه من العوام، نعم كان السائق من الخواص لكن رجل الدين الذي هو إمام الجماعة أيضاً كان من العوام. فمثلاً كان رجل الدين يتساءل لماذا عندما يأتي ذكر اسم الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله تصلون عليه مرة واحدة، لكن عندما يذكر إسم هذا السيد (الإمام الخميني) تصلون على النبي ثلاث مرات؟ لم يكن يفهم السبب؛ فأجابه السائق قائلاً: عندما تنتهي فترة الجهاد والمقاومة ويعلو صوت الإسلام على الجميع، فحينئذٍ لا داعي لهذه الصلوات الثلاث؛ بل لا نأتِ حتى بالصلوات الواحدة؛ فاليوم هذه الصلوات الثلاث جزء من الجهاد والمقاومة. كان هذا السائق يفهم السبب في حين عجز رجل الدين عن فهمه»[1].

الخصائص

سنتحدث في هذا القسم من الكتاب حول خصائص وصفات الأفراد

---

(١) گزيده أخبار، ص ٧.

الذين اتخذوا عن جهل في فترة الثورة ونظام الجمهورية الإسلامية والدفاع المقدس مواقف مضادة لمسيرة الثورة ولأفكار الإمام ونظرياته المتعالية الناشئة عن شمولية الإسلام وجامعيته، وطرحوا النظريات المخالفة لبرامج وسياسات الثورة ومسيرتها التكاملية.

١ـ عدم البصيرة وضعف التحليل (سطحية التفكير)

إنّ عدم إدراك المسائل المعاصرة والفهم الخاطئ لمؤامرات الأعداء المعقدة وخططهم ضد الإسلام، قد أدّى إلى وقوع العوام في فخ هذه المؤامرات، والنظرة إلى الأحداث المختلفة بنظرة سطحية بعيدة عن الدقة والعلمية. فأثناء تصاعد هذه الثورة ضد النظام الطاغوتي، كان بعض الأفراد من ذوي الرؤية السياسية الضعيفة العاجزين عن إدراك الأفكار المتعالية للإمام وبعدها الشمولي العالمي يطرحون على الإمام إقتراحات تفتقر إلى الدقة والفهم الصحيح لمؤامرات الأعداء.

وعن أحد الاقتراحات التي طرحها البعض على الإمام أثناء تصاعد شدة الجهاد ضد النظام الطاغوتي يقول الإمام:

«كانوا يقترحون أن نتقدم في جهادنا خطوة خطوة؛ بأن نترك الشاه الآن على عرش الملك ونمنعه من الحكومة، ثم نقوم بعدها بتشكيل المجلس، وبعدها نفعل كذا! حتى نتمكن فيما بعد من إسقاط هذا النظام. فقلت لهذا الشخص ـ وكان من الصالحين لكنه ذو فكر خاطئ ـ هل تضمن لي إعادة

شعلة هذه النهضة بعد فترة إلى ما هي عليه الآن؟ قال: لا!» [١](*).

إنّ العوام بتفكيرهم السطحي الساذج لا يفكرون أبداً بعواقب الأحداث السياسية، ويعمدون إلى إتخاذ المواقف الخاطئة تبعاً لظاهر هذه الأحداث. فبعد الهزائم السياسية المتلاحقة للحكومات المرتبطة بالنظام الطاغوتي، طلب الشاه في خطابه الرسمي العفو من الشعب ورجال الثورة، فوقع البعض في فخ النظام، وطالبوا برد إيجابي على هذا الطلب المخادع.

فقال الإمام حول ذلك:

«أحد السادة المحترمين من ذوي اللحى البيضاء - كان عالماً لكن ذو إدراك وعقل ناقصين - كتب لي إقتراحاً مفصّلاً وعرض لي أن النبي قد عفا عن الشخص الفلاني في المكان الفلاني، وعفا عن الكافر الفلاني في المكان الفلاني، وعفا عن الشخص الفلاني.. وكتب لي تاريخاً بهذا الموضوع! وكأنما لي الحق في العفو عن هذا الشخص!.. فأي منطق هذا؟..

أيمكن لإنسان أو لمن يمتلك إدراكاً إنسانياً قول مثل هذا الكلام؟ حتى الحيوان لا يمكنه إطلاق مثل هذا الكلام، بأن نأتي ونعفو عنه! من يعفو

---

(١) صحيفة الإمام، ج٦، ص ١٨٩.

(*) الشهيد بهشتي ينقل في مذكراته: «قبل ثلاثة أشهر من انتصار الثورة الإسلامية جاء أحد قادة حركة (نهضت آزادي) للقاء الإمام في باريس لإقناعه ببقاء مجلس شورى السلطنة، وإقامة انتخابات حرة، وإيقاف الثورة عند هذا الحد ويعود الإمام إلى إيران» (خاطرات ماندگار از زندگي شهيد بهشتى)، ص ١٧٣، مرتضى نظري.

عنه؟»[١].

في عام (١٩٨٣م) تقدّم بعض هؤلاء الأفراد ذوو التفكير السطحي باقتراح الصلح مع صدام في بعض المحافل السياسية؛ إذ أن هذه المجموعة من الأفراد لم تكن تدرك أحقية الجمهورية الإسلامية في الدفاع المشروع عن نفسها، ولم يفهموا بدقة أهداف مؤامرات الأعداء من فرض هذا الصلح الأمريكي على إيران، فقاموا بمسايرة بعض وسائل الإعلام الإستكبارية من خلال نظرتهم السطحية للحرب، فاهتموا فقط بالخسائر المالية والبشرية فيها، ولم يهتموا بالنتائج المعنوية والسياسية لهذه الحرب؛ لذا اقترحوا الصلح مع النظام العراقي:

«إنّ بعض الأفراد ممّن يبدو أنهم من غير المغرضين، ويبدو عليهم حسب الظاهر التدين والصلاح، يتحدثون عن ضرورة الإصلاح ولماذا لا نبدأ بعملية الإصلاح، وإلى متى يقتل الشباب في الحرب؟ فهؤلاء أيضاً رؤيتهم قاصرة، إذ أنهم لا يدركون أننا إذا جلسنا في هذا الوقت وفي هذه الظروف على طاولة المفاوضات بحيث يجلس صدام في جانب، ويجلس رئيس جمهوريتنا في الطرف المقابل، فعندها ماذا سيقول العالم عنّا؟... أنا أيضاً أعلم أننا تعرضنا لخسائر كثيرة وقدمنا الكثير من شبابنا، لكن الصلح مع من سيطعننا بخنجر من الخلف، هل هو صلح عادل ومشرِّف؟ هل هو

(١) صحيفة الإمام، ج١٥، ص ١٩٨.

صلح عقلائي؟... إننا نفكر من أجل الإسلام»[(١)].

كما طرح بعض العوام ذوو الفكر السطحي اقتراح المفاوضات مع أمريكا، أولئك الذين لم يدركوا الصبغة الاستكبارية والسلطوية عند أمريكا، ولم يفكروا إلاّ بقدرتنا السياسية والاقتصادية أو العسكرية، وإن الجمهورية الإسلامية بحاجة إلى أمريكا، ويزعمون أن التخلص من الحرب والوصول إلى التنمية الاقتصادية لا يتحقق إلاّ بالمفاوضات والصلح مع أمريكا.

لكن الإمام يرى أن مثل هذا الكلام والمواقف دليل على ضعف العوام في تحليل الأحداث السياسية وعجزهم عن الإحاطة بمؤامرات الأعداء فيقول:

«إنّ من يطالب بضرورة الصلح، هل يفهم أننا سنُسحق إذا ما تصالحنا معهم؟ وهل يقبلون منّا بالصلح؟!.. فهناك مجموعة تنصح بضرورة الصلح، إنه كلام الضعفاء؛ هؤلاء هم الضعفاء الذين يقعون دائماً في فخ أمريكا أو يتحدّثون عن أمثال هذه المسائل لكنّنا خرجنا للتو من هذا الفخ، ولسنا مستعدين للعودة إليه مرّة أخرى»[(٢)].

كما يرى الإمام أن الرأي الداعي للعلاقة مع الإستكبار هو اشتباه محض، وفي رده على إنتقادات العوام للصراع مع أمريكا وتبعاته، يقول:

(١) صحيفة الإمام، ج١٨، ص ٣٨٥.

(٢) صحيفة الإمام، ج ٢٠، ص ٢٧١ و٢٧٢.

«... البعض يقول لنا لماذا أخذتم بلوم أمريكا أنها هي السبب في وقوع الحرب، فنحن كنا نعلم منذ البداية أن مواجهة أمريكا وجميع القوى الكبرى ستؤدي إلى مثل هذه العواقب.. على كل حال، علينا التفكير وموازنة هذين الموضوعين، ماذا فقدنا وماذا حققنا حتى الآن، فما حققناه حتى الآن أننا حفظنا الإسلام» [١].

٢ـ التحجّر والتمسك بمظاهر الدين (التنسّك)

توجد مجموعة من الأفراد تلتزم بشكل كامل بظاهر الأحكام والقوانين الفردية الإسلامية، لكنها تجهل عمق أصول هذه الأحكام ومعانيها وفلسفتها، وتجهل ظروف المجتمع الإسلامي وأوضاعه.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «قَطَعَ ظهري إثنان: عالِمٌ مُتَهتِكٌ وجاهل مُتنسِّك» [٢].

فالمتنسكون والمتحجرون يقبعون دائماً في غطاء أنانيتهم ويحبسون أنفسهم في حصار جهلهم وخرافاتهم. وكانوا قبل الثورة يمنعون جميع النشاطات السياسية، ووقفوا بعد انتصار الثورة بوجه السياسات الإصلاحية للإمام والمسؤولين المؤمنين في النظام الإسلامي، وحول هذا الموضوع، يقول الإمام:

(١) صحيفة النور، ج١٧، ص ١٢٠و ١٢١.

(٢) بحار الأنوار، ج١، ص ٢٠٨، حديث ٨

«اليوم أيضاً ابتلينا بنفس هذا المعنى، إنهم يريدون باسم الإسلام منع قيام الحكومة الإسلامية، بواسطة مجموعة من الجهلة غير المدركين ومجموعة من العلماء المتهتكين»(١).

ويوجد في الحوزات العلمية أفراد يعملون ضد الثورة والإسلام الأصيل، وظهرت اليوم مجموعة من المتنسّكين المتظاهرين أخذت تقطع جذور الإسلام والثورة والنظام، كأنهم لا عمل لهم سوى هذه الوظيفة، فخطر المتحجرين والمتنسّكين الحمقى في حوزاتنا العلمية ليس بقليل..»(٢).

وكمثال على ذلك صمت بعض هؤلاء المتنسّكين عن الذين أصدروا بياناً للدعوة إلى المظاهرات ضد قانون القصاص في سنة ١٩٨١م، وتأييد بعضهم لتلك المظاهرات، إذ يمثّل هذا الموقف دليلاً بارزاً على صفة هذه الشريحة من العوام، فردّ الإمام بامتعاض من هذا الموقف:

«ماذا أفعل مع هؤلاء المصلين والمتدينين.. فهل يقبل مصلّو صلاة الليل بهذا الأمر أم لا؟»(٣).

ومن مواقف هؤلاء المتحجرين، معارضتهم لمشاركة النساء في المجالات السياسية الاجتماعية، في حين تشكّل النساء نصف المجتمع، ولعبت النساء

---

(١) صحيفة الإمام، ج١٨، ص ٤٠٩ و ٤١٠.

(٢) صحيفة الإمام، ج٢١، ص ٢٧٨.

(٣) صحيفة نور، ج١٥، ص ١٤.

الإيرانيات الشجاعات دوراً مهماً في انتصار الثورة الإسلامية(*).

٣ـ الانحراف الفكري

إنّ الفهم الخاطئ للآيات والروايات الإسلامية، وفهمهم السيئ للوقائع والأحداث وتطبيقهم الخاطئ لبعض آيات القرآن، أدى إلى أن يعتبر بعض العوام المنحرفين فكرياً سلطنة السلالة البهلوية موهبة إلهية ومشيئة ربانية، وأن لا جدوى من مواجهتها، وأخذوا بالاعتراض على سياسات الإمام وآرائه:

«... كتب لي أحد هؤلاء المعممين ـ قبل عدة سنوات ـ لماذا تعارضوا الشاه، ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء﴾ [١] فالله يهب الملك لمن يشاء، فهو تعالى الذي أوصله إلى الحكم، فلم أرد عليه، لأن كلامه لا يستحق الرد، لكن هذا تكذيب للقرآن! فهل يوجد شخص غير الله أعطى الملك لفرعون؟ فالله تعالى أيضاً هو من أعطى له الملك، إذن لماذا عارضه موسى ووقف بوجهه؟.. إن هذا الكلام بلا معنى» [٢].

وأبرز صفات العوام والمنحرفين فكرياً، هو فكرهم الخاطئ في فصل

(*) تنقل السيدة فاطمة الطباطبائي «زوجة السيد أحمد الخميني» حادثة لطيفة عن لقاء أحد المعارضين لمشاركة النساء في النشاطات الاجتماعية مع الإمام، ورد الإمام على مثل هذا الرأي. راجع: پابه پای آفتاب، ج١، ص ١٧٤.

(١) قسم من الآية ٢٦ من سورة آل عمران.

(٢) صحيفة الإمام، ج٣، ص ٣٤٧ و ٣٤٨.

الدين عن السياسة، وحول هذا الفكر الخاطئ، يقول الإمام:

«.. لقد صدّق هؤلاء السادة أن الإسلام ينفصل عن السياسة وأنه مجرد أحكام عبادية بين النفس والرب» [١].

ومن الأفكار الأخرى الشائعة عند هذه الشريحة من العوام، فهمهم الخاطئ حول انتظار الحكومة الإسلامية العالمية بإمامة صاحب العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف. فهذه المجموعة بتفسيرها الخاطئ لروايات انتظار ظهور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف أوجدت مشاكل كثيرة أمام البرامج الإصلاحية لنظام الجمهورية الإسلامية، فحسب تفكيرهم يعتقدون أن الثورة الإسلامية في إيران تمنع تهيئة الظروف اللازمة لظهور الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف وينقسم أصحاب هذا الفكر إلى عدة مجموعات، حيث خاطب الإمام في وصيته السياسية الإلهية إحدى هذه المجموعات باسم (العوام المنحرفون) [٢]، وأشار في أحد خطاباته إلى جانب من فكرهم الخاطئ وغير الأصولي، فقال:

«مجموعة منهم كانت تقول، يجب أن يمتلأ العالم بالمعصية حتى يظهر الحجة، وعلينا أن نتجنب النهي عن المنكر، وأن لا نأمر بالمعروف أيضاً.. ومجموعة أخرى إدّعت أكثر من ذلك، إذ كانوا يقولون: يجب الإكثار من المعاصي، ودعوة الناس إلى المعصية حتى يمتلأ العالم بالظلم والجور.. ومجموعة أخرى كانت تقول: كل حكومة تظهر في عصر الغيبة

(١) صحيفة نور، ج١، ص ٢٣٩و ٢٤٠.

(٢) صحيفة الإمام، ج٢١، ص٤٤٧.

هي حكومة باطلة ومخالفة للإسلام..، لقد اغتروا ببعض الروايات التي تشير إلى أن كل راية ترفع قبل ظهور الحجة هي راية باطلة، وكانوا يظنون أنها تعني كل حكومة، في حين أن تلك الروايات كانت تشير إلى كل من يرفع راية بعنوان المهدوية تقابل راية المهدي، (هي راية باطلة)»[(١)(*)].

ومن المظاهر الفكرية المنحرفة لهذه المجموعة هي تصورهم الخاطئ عن حكومة الجمهورية الإسلامية وحكومة الشعب الدينية في النظام الإسلامي، وأن (الجمهورية) تعارض(الإسلامية).

وينقسم أصحاب هذه النظرية والفكر الخاطئ إلى مجموعتين مختلفتين ومتقابلتين:

المجموعة الأولى: المعارضون لإسلامية النظام؛ وهم من يعتقدون أن كل شيء يعتمد على رأي الشعب، ويعتبرون حكومة الجمهورية الإسلامية معارضة لحكومة الشعب وبعيدة عن الموازين الإسلامية وحاكمية الدين والقانون الإلهي.

وحول هذه المجموعة يقول الإمام :

«... بعض مثقفينا النيري الفكر أيضاً لا يريدون إسلاميتها فقط، فالكل

---

(١) صحيفة الإمام، ج٢١، ص ١٣ و١٤.

(*) الكلام يشير إلى هذا الحديث الشريف: «عن أبي عبد الله عليه السلام: كل رايةٍ ترفع قبل قيام القائم فصاحبها طاغوت يعبد من دون الله عز وجل» الكافي، ج٨ «كتاب الروضة»، ص ٩٥، حديث ٤٥٢.

يقبل بالجمهورية لأنها جيدة.. لكن ماذا تعني الجمهورية الإسلامية؟ الجمهورية الإسلامية اصطلاح جديد! إنها بدعة!»[١].

ومنذ الأشهر الأولى لانتصار الثورة الإسلامية شاع باستمرار هذا الفكر عند بعض المسلمين ذوي الأفكار المنحرفة، وكانوا يعترضون بأشكال مختلفة على الصبغة الإسلامية للنظام، وسعوا دائماً إلى حذف كلمة (الإسلامية) من أسماء مؤسّسات الحكومة والأحزاب المؤيدة للنظام الإسلامي[٢].

المجموعة الثانية: المعارضون للجمهورية ودور الشعب في الجمهورية الإسلامية. ومن مظاهر هذه الأفكار المنحرفة إبعاد الشعب عن المشاركة في تعيين مصير نظامه السياسي، وفصل مصير الشعب عن قضايا الإسلام الأصيلة، وبالتالي إعطاء فكرة خاطئة عن الحكومة الإسلامية. فمثل هؤلاء الأفراد يرون أن مشاركة الشعب في المجالات المختلفة تعارض تطبيق الأحكام الإلهية. وحول هذا الفكر يشير الإمام:

«لقد سمعت أن بعض الأفراد ذهبوا إلى الجامعات، وقالوا أن التدخل في الانتخابات، تدخل في السياسة، وهذا حق المجتهدين.. يعني لا يتدخل في أمور إيران السياسية سوى خمسمائة شخص، ويذهب الباقون إلى

---

(١) صحيفة الإمام، ج١٧، ص ٤٨.

(٢) للتعرف أكثر على آراء الإمام حول هذا الموضوع، راجع: صحيفة الإمام، ج٨ ص ٣٣٨ و٣٣٩و ٣٦٠، و٣٦١ وكذلك ج١٢، ص ٤٦٢ و٤٦٣.

عملهـــم، أي يـــذهب الـــشعب لحالـــه ولا يتـــدخل أبـــداً بالمـــسائل الاجتماعية» [١].

لقد كان الإمام في المرحلة التـي سـبقت انتـصار الثـورة الإسـلامية فـي إجابته على أسئلة الصحفيين الأجانب حول شكل الحكومة المستقبلية فـي إيران، يؤكد دائماً على (الجمهورية) التي تعبر عن دور الـشعب، وكـذلك علـى (الإسـلامية) التـي تعبـر عـن تطبيـق القـوانين الإسـلامية وحاكميـة الإسلام [٢]. وبعد انتصار الثـورة الإسـلامية كـذلك، كـان مـسؤولوا النظـام الإسلامي يؤكدون باستمرار على (إننا بحاجة إلى الـشعب) [٣]، ويقولـون: (لا تنفصل الحكومة الإسلامية عن الشعب) [٤].

وفي نقده لهذا الفكر الخاطئ عند هؤلاء المنحرفين فكرياً، وبيانه لفكر الإمام، يقول قائد الثورة الإسلامية:

«القيم التي نسعى دائماً في ثورتنا إلى نشرها للناس، وعملنا لهم يرتكـز على أساسين ومبدأين هما: الدين والشعب إذ لا يمكـن تـصور الـدين مـن غير الشعب؛ لأن ديننا دين لا ينفصل عن الـشعب؛ وأصـلاً مـن الخـداع أن نقوم بفصل الإسلام عن مصالح الشعب وخيرهم، وندعوا إلى ترك الشعب

(١) صحيفة الإمام، ج١٨، ص ٣٦٧ و ٣٦٨.

(٢) المصدر السابق، ج٥، ص ١٤٤و ١٧٠.

(٣) المصدر السابق، ج١٩، ص ٣٦.

(٤) المصدر السابق، ج٨، ص ٣٧٢.

ومصيره والتمسك فقط بدين الله والإسلام! فهذا هو الإسلام المحرّف. وهذا هو الأمر الذي حاربه الإمام قدس سره منذ بداية النضال والجهاد، وقد فهم الكثير من العلماء والصالحين كلام الإمام في هذا الموضوع، وبالطبع لم يفهم بعض المتحجرين والجهّال كلام الإمام حتى النهاية، ولازال البعض حتى الآن لا يفهمون هذه الحقيقة، أن الفكر الإسلامي لا ينفصل عن الشعب وعن خدمته» [١].

ويمكن ملاحظة أكثر تأثيرات الانحراف الفكري عند بعض العوام ضرراً، هي مواقفهم وآرائهم السياسية التي تتعارض تماماً مع مبادئ السياسة الإسلامية. إذ ينقل أحد أصدقاء الإمام أنه عندما أردت العودة من النجف إلى إيران، قال الإمام:

«قل لأصدقائي في حوزة قم أننا في النجف إبتلينا بأفراد يعتقدون أن الإنجليز وأمريكا هما اليوم الملجأ والحامي للإسلام! وإذا زالتا هاتان القوتان فسيزول الإسلام أيضاً!» [٢].

٤ـ الرؤية الأحادية إلى الإسلام

إنّ بعض المسلمين يحددون معيار جامعية الدين الإسلامي وشموليته من خلال عملهم واختصاصهم العلمي أو علاقتهم وارتباطهم بأحد أبعاد

(١) حديث ولايت، ج٣، ص ١٩٧ و١٩٨.

(٢) تحليل از نهضت إمام خميني، ج٢، ص ٤٩٢.

الدين الإسلامي، ويسعون إلى تفسير الإسلام على ضوء هذه الرؤية الأحادية. وفي البحث سنتطرق إلى رأي الإمام حول هذه الرؤية الأحادية:

عند دراستنا للمسائل والبحوث الإسلامية المعنوية والعرفانية التي تعد أساساً ترتكز عليه سياسات الحكومة الإسلامية في المجالات التنفيذية والثقافية والاقتصادية، نجد أنها تظهر في فكر بعض المسلمين وعملهم بشكل يدل على ضرورة الابتعاد عن السياسة والمشاركة في الحياة الاجتماعية:

«تصور العديد من الأفراد أن معنى العرفان هو أن يجد الإنسان مكاناً له يعتزل فيه للذكر والعبادة ويؤدي بعض الحركات وما شابه ذلك، وهذا معنى العرفان عنده.. أو يتصور أحد أنه من أهل السلوك، وبالتالي على أهل السلوك أن يبتعدوا عن الشعب ولا يتعاملوا معه؛ ومهما يحدث في المدينة، يقول أنا من أهل السلوك، سأعتزل في زاوية وأنشغل بالأوراد» [١].

وفي النقطة المقابلة لهذا الفكر، يقتصر اهتمام بعض الأفراد على المسائل الاجتماعية والاقتصادية:

«ويوجد أفراد آخرين يهتمون فقط بالاقتصاد، ويحددون رسالة الأنبياء بأنهم جاؤوا لإشباع الناس ورفع الجوع عنهم، وتوفير حياة مرفّهة لهم، وهذه رسالة الأنبياء» [٢].

---

(١) صحيفة الإمام، ج ٢٠، ص ١١٦.

(٢) صحيفة الإمام ج٢، ص ٢٢٩.

وفي نقده لهذين الفكرين الأحاديين، يقول الإمام:

«إنّ هاتين الطائفتين؛ إحدهما اتجهت للاهتمام بعنصر المعنوية وتركت عنصر الاجتماع؛ والطائفة الأخرى اهتمت بعنصر الاجتماع وعلم الاجتماع وعلم السياسة وغيرها من المعاني، وتركت العنصر الآخر؛ وكلتاهما جاهلتان بالإسلام، لا هذه عارفة بالإسلام ولا تلك عارفة بالإسلام؛ العارف بالإسلام هو من يهتم بكلا العنصرين، يهتم بالجانب المعنوي وكذلك الجانب الظاهري» [١].

الشكل الآخر للرؤية الأحادية، هو عدم الاهتمام أو عدم إدراك الفلسفة الحقيقية للعبادات والمناسك الشرعية. إذ أن الفلسفة الحقيقية لكثير من العبادات ـ خاصة العبادات التي تقام بصورة جماعية، وفي مكان وزمان معينين ـ هي ضرورة جمع ومزج أداء هذه الفرائض مع بحث المسائل والمصالح السياسية والاجتماعية للمسلمين، فالعبادات الخالية من روح السياسة الإسلامية، تكون عبادات جوفاء خاوية، وبالطبع تؤدي النتيجة العملية لهذا الفكر إلى فصل المسائل العبادية والدينية عن السياسة الإسلامية. وقد أشار الإمام مراراً في بيانه حول الحج إلى الإهتمام بالبعد السياسي والاجتماعي للحج، إضافة إلى بعده المعنوي والعرفاني، وهكذا يرى الإمام بالنسبة لصلاة الجمعة والجماعة. وفي ذمه لهذه الرؤية

(١) المصدر السابق، ج٢، ص ٢٢٩.

الأحادية، يقول الإمام:

«هل من الممكن أن يقتصر عمل المسلم على أداء الصلاة والصيام والحج وأمثالها فقط، ولا يتدخل في أمور المسلمين» (١)(*).

٥. الإهتمام بالمصالح الذاتية

من الصفات الأخرى للعوام الخلود للراحة والكسل، والابتعاد عن التدخل في الصراعات التي تحدث بين الحق والباطل حرصاً على سلامتهم واهتماماً بمصالحهم الذاتية، ومثل هؤلاء الأفراد عبّر عنهم الإمام علي عليه السلام: «كَالْبَهيمَةِ المربُوطَةِ هَمُّها عَلَفُها» (٢).

وحول اهتمام هذه المجموعة بالمحافظة على مصالحهم الشخصية والدنيوية في الظروف الصعبة، يقول الإمام:

«... هم يصلّون، ويصومون أيضاً، ويؤدون ما عليهم من عبادات شرعية، لكن رؤيتهم الفكرية أن الإنسان لا ينبغي له أن يعرّض نفسه

(١) صحيفة الإمام، ج١٥، ص ٢١٤.

(*) إن إحدى الصفات الفردية التي اختص بها الإمام، هي اهتمامه الكامل بالأبعاد السياسية للإسلام، والجمع بين السياسة والشريعة، وإنها المنهج الحقيقي للإسلام المحمدي الأصيل. للإطلاع أكثر راجع: بنيان مرصوص إمام خميني، آية الله جوادي آملي، ص ٨٨ و ٨٩ و ٩٠.

(٢) نهج البلاغة، الرسالة ٤٥، ص ٣٤٤.

للخطر والأذى»[١].

إنّ حب الدنيا عند العوام والإهتمام بمظاهرها، قد أبعدهم عن المشاركة في ميادين الجهاد والشهادة، ودفعهم للسكوت واعتزال الخوض في معارك الجهاد، والإهتمام بممارسة حياتهم العادية طيلة فترة الحرب المفروضة وسنوات الدفاع المقدّس، والظروف الحساسة التي مرّت بها الثورة الإسلامية. وبعد انتهاء الحرب، قال عنهم الإمام:

«إنّ هؤلاء الأفراد الذين تنصّلوا ـ لأي سبب كان ـ عن أداء تكليفهم العظيم أثناء سنوات الحرب والجهاد، وأبعدوا أنفسهم وأموالهم وأبناءهم والآخرين عن خطر الحرب، ليطمئنوا أنهم تنصّلوا عن المعاملة مع الله، وعرضوا أنفسهم للخسارة والضرر الكبير، وسيتحسرون عليها في يوم القيامة وعند محاسبة الحق لهم»[٢].

ويعتبر قائد الثورة الإسلامية أنّ هذه الصفة تمثّل أحد المصاديق البارزة للإسلام الأمريكي، فيقول:

«الإسلام الأمريكي هو إسلام الأفراد الذين لا يتألمون ولا يتحرقون سوى على أنفسهم ولذائذهم الحيوانية، ويعتبرون الله والدين كأموال التجار لا تعدو سوى وسيلة لجمع الأموال وتحقيق القدرة والسلطة»[٣].

---

(١) صحيفة نور، ج١٥، ص ٤٥.

(٢) صحيفة الإمام، ج٢١، ص ٩٣.

(٣) حديث ولايت، ج٢، ص ٢٨٤.

٦. التنوير الفكري الرجعي(*)

إنّ المتعلمين الذين لا يمتلكون معرفة صحيحة ودقيقة عن مبادئ الإسلام وأصوله، وعقولهم أقل من علمهم، قد اكتسبوا علومهم من أفكار علماء الغرب ونظرياتهم، ولم يرتووا من زلال كوثر الإسلام الأصيل؛ لذلك تجدهم يعارضون تشكيل الجمهورية الإسلامية وتطبيق سياسات النظام العامة وقوانينه ومبادئه التي تستند إلى الأحكام الإسلامية المتعالية؛ وبالتالي فهم يعتقدون أن هذه القوانين والمبادئ لا تتلائم مع تحصيلهم العلمي ونظرياتهم الفكرية.

وبعد انتصار الثورة الإسلامية، اتخذت هذه المجموعة مواقف متعددة مضادة للثورة والإمام، وتدل على عاميتهم ورجعيتهم الفكرية.

ومن أبرز صفات هؤلاء النيري الفكر الرجعيين، هي انكسارهم وضعفهم مقابل مظاهر الحضارة الغربية وتبعيتهم لنظريات علماء المدارس الغربية، وترويج أفكارهم تحت عنوان التجديد العلمي.

(*) عند دراسة أفكار ومؤلفات الإمام نجد أنه يقسّم نيري الفكر إلى ثلاثة أقسام: الأول: نيروا الفكر الملتزمون، المتدينون المخلصون الذين يتواجدون ضمن كافة فئات المجتمع، وشاركوا مع الإمام في جميع مراحل الثورة ويعدّون ضمن مجموعة خواص الحق.الثاني: نيروا الفكر المغرضون الأجراء والتابعون للغرب، الذين يروجون لنظريات أعداء الثورة والإسلام، ويعدون ضمن خواص الباطل. الثالث: نيروا الفكر الذين يتحدّث عنهم هذا القسم، هم الأفراد الذين اتّخذوا مواقف مضادة للإمام بسبب جهلهم بالإسلام والظروف السياسية للثورة الإسلامية. وقد عبّر عنهم الإمام باصطلاحات مثل (نيروا الفكر المزيّف) و(المتظاهرون بالتنوير الفكري).

وحول هؤلاء الأفراد، يقول الإمام:

«كانوا قد قرؤوا قسماً من مقالة تم نشرها في أوروبا، فجعلوا ذلك ميزاناً لفهمهم، وأصبحوا يقبلون بلا دليل كل ما يقوله أولئك ولا يحتاجون لأي دليل آخر» [١].

إنّ قلة معرفتهم بالثقافة الإسلامية الأصيلة والقيم الإسلامية المتعالية، قد أوقعتهم بفخ النظريات الغربية وغير الإسلامية، ويرفضون الحرية المشروعة التي تتلائم مع الفطرة الإنسانية للإسلام، ويعتبرونها حرية محدودة.

وحول هذا الموضوع يقول الإمام:

«... لا يدركون أن هذه البرامج، وترك هؤلاء الشباب والبنات والأولاد بحريتهم يفعلون كل ما يحلو لهم، يمكن أن تجلب الويلات على البلاد» [٢].

النقطة المهمة الأخرى المثيرة للإستغراب، ما يطرحه هؤلاء الأفراد من نقد وتحليل قاصر عن المكانة الشرعية والإلهية لولاية الفقيه في الحكومة الإسلامية. لذا كانوا ينتقدون باستمرار هذا الأصل في آرائهم ونظرياتهم وتحليلاتهم القاصرة، أو يعارضون الصلاحيات الشرعية والقانونية للولي الفقيه وبتدبيره الحكيم في وضع السياسات العامة للجمهورية الإسلامية. وبعد أن يأسف الإمام لضعف أفكارهم حول هذا الموضوع، يقول:

(١) صحيفة نور، ج١٠، ص ١٩٣.

(٢) المصدر السابق، ج٩، ص ٧٣.

«للأسف أن نيري الفكر عندنا لا يفهمون ماذا تعني ولاية الفقيه»[١].

إنّ هذه الشريحة من الأفراد يظنون بغرورهم العلمي أنهم أفضل وأعلم من عامة الشعب الذين قدموا التضحيات وشاركوا في مختلف المجالات، وعمد هؤلاء الأفراد إلى إبعاد أنفسهم عن القاعدة المليونية للشعب المسلم الملتزم بالثورة، ويتصوّرون أن على الشعب أن يكون تابعاً لأفكارهم ونظرياتهم.

ولهذا لا يهتم هؤلاء الأفراد أبداً بالمسائل السياسية والاجتماعية التي تحدث في المجتمع الإيراني الإسلامي، ويحلّلون استنتاجاتهم الفكرية بعيداً عن الظروف السائدة على الجو السياسي العام في المجتمع. ويقول الإمام:

«للأسف أثبت هؤلاء متنوّرو الفكر أنهم يجهلون كثيراً التعامل مع المسائل المعاصرة، ولا يتابعون المسائل التي تتعلّق بمصيرهم، حتى المسائل التي تطرح في الإذاعة والتلفزيون والتي تنشر في الصحف والمجلات[٢]. فلا تعزلوا أنفسكم في بيوتكم تضعون أفكاراً ونظريات خاصة بكم، وتكتبون كل ما من شأنه إعاقة مسيرة الشعب»[٣].

ومن بين أفكار هؤلاء الأفراد ومواقفهم؛ سعيهم المستمر لربط

(١) صحيفة نور، ج١٠، ص ١٣٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٨٦

(٣) المصدر السابق، ج٩، ص ١١٩.

الجمهورية الإسلامية بأمريكا، فهم يعتقدون أن الحكومة الإيرانية لا يمكن لها الصمود والاستقرار والاستمرار بعملها دون الإعتماد على إحدى القوى السياسية والعسكرية والاقتصادية الخارجية:

«... أينما ذهبوا يتحدّثون عن هذا الموضوع، وأصبح همهم وغمهم القول بعدم فائدة الجمهورية الإسلامية، ويجب علينا حتماً أن نقع في أحضان أمريكا، أو أن نعيش في أحضان الإتحاد السوفيتي(*) لكن من الأفضل أن نرتبط بأمريكا، لأن الإتحاد السوفيتي دولة ملحدة وأمريكا موحدة وحسنة جداً وأفضل، أو أقل سوءاً منه» (١).

إنّ من أشنع مواقف نيري الفكر الرجعيين من العوام، هو معارضتهم لرجال الثورة وقادتها في النضال ضد الاستكبار والمصلحين الحقيقيين، واتهامهم بالرجعية والتخلف. وحول هذا الموضوع يقول الإمام:

«... هل نحن رجعيون، بأن قطعنا أيدي الخونة من التجاوز على بلادنا؟!.. علينا تحمّل هذه المسائل وقبول هذه الإتهامات من هؤلاء القابعين في إيران الذين يكتبون باسم نيري الفكر أو باسم الكتّاب وأمثال ذلك مع أنهم من المخربين» (٢).

(*) ذكر هذا الموضوع قبل انهيار الإتحاد السوفيتي.

(١) المصدر السابق، ج١٥، ص ١٧.

(٢) المصدر السابق، ج ١٠، ص ١٣٥.

آفات العوام

إنّ إحدى المشاكل الأساسية التي واجهها الأنبياء والأولياء في مسيرتهم الجهادية ونهضتهم الإلهية؛ هي تلك الضربات التي وجهها العوام عن جهل وتخلف لحركتهم الجهادية ورسالتهم الإصلاحية لهداية المجتمع. وكان هذا الأمر محل ابتلاء قادة الإصلاح والثورة على مدى التاريخ، ولازال موجوداً حتى الآن.

الإمام علي عليه السلام يقول: «مَنْ جَهِلَ وُجُوهَ الآراءِ أعْيَتْهُ الْحِيَلْ» [(١)].

فالأفراد الذين لا يميزون بين الصحيح والسقيم، يقعون دائماً في غياهب الشبهات وأمواج الفتن.

ويميلون مع كل نسمة تهب عليهم من قبل السياسيين المحترفين المخادعين؛ فهم «يَميلُونَ مَعَ كُلِّ ريحٍ» [(٢)]، كما جاء في تعبير الإمام علي عليه السلام.

وقد ظهر هذا المانع أيضاً أمام المسيرة التكاملية للثورة والجمهورية الإسلامية، ولازال موجوداً حتى الآن؛ حيث أن هذه الشريحة من العوام التي أشرنا إلى صفاتها وخصائصها، قد أصبحت في بعض الموارد بمثابة المؤيدين لنظام العدو، فأوجدوا مشاكل حقيقية لنظام الجمهورية الإسلامية، وأصبحوا حسب تعبير الإمام: (مجموعة ليست من الأعداء؛

(١) غرر الحكم، ج٥، ص ١٧٩.

(٢) نهج البلاغة، كلمات القصار، ١٣٩.

لكنها تؤدي عن جهلٍ دور الأعداء) [١].

وفي هذا القسم من البحث، نشير إلى رأي الإمام حول الآفات التي تظهر بسبب العوام.

١ـ تخطئة المساعي التي يقوم بها خواص الحق

إنّ جهل العوام وعدم بلوغهم الفكري والسياسي، وعجزهم عن الإدراك الصحيح للأحداث والبرامج السياسية والاجتماعية، كانت من أبرز نقاط الاختلاف بينهم وبين الخواص. وكان هذا عاملاً مهماً جعل العوام يخطئون رجال الثورة وقادتها المجاهدين الإصلاحيين! ويتّخذون مواقفاً معارضة لبرامج خواص الحق وسياساتهم الإصلاحية، وكانت هذه من النقاط المهمة التي سعى الإمام قبل بدء نهضته إلى توضيحها لمراجع التقليد في ذلك الوقت:

«في يوم من الأيام اجتمع في منزلنا المرحوم البروجردي، والمرحوم حجت، والمرحوم الصدر، والمرحوم الخوانساري @، لمناقشة أحد الأمور السياسية المهمة. فقلت لهم عليكم قبل أي شيء، أن تعالجوا موضوع هؤلاء المتنسكين المتظاهريين، لأن وجود مثل هؤلاء بينكم مثل أن يقيّد شخص أيديكم أثناء هجوم الأعداء عليكم. إنّ هؤلاء ممن يدعون باسم المتنسكين – وليسوا بمتنسكين حقيقيين – لا يهتمون بالمفاسد

(١) صحيفة الإمام، ج١٤، ص ٤٤٠.

والمصالح ويعملون على تقييد أيديكم، وإذا أردتم القيام بعمل ما من استلام الحكم، أوالسيطرة على المجلس لمنع وقوع مثل هذه المفاسد، فإن هؤلاء سوف يقضون على جهودكم في المجتمع، فعليكم إيجاد حل لهؤلاء قبل كل شيء» [١].

ومن بين الآفات التي ظهرت نتيجة لمواقف هذه الشريحة من العوام هي تخطئتهم لنهضة (١٥ خرداد) [٢] بقيادة رجال الدين العاملين، وادعوا أن هذه النهضة عبارة عن حركة جوفاء بلا فائدة، أو يطرحون شعارات تخطئ جميع المشاريع والبرامج التي يسعى لتطبيقها خواص الحق في المجتمع الإسلامي.

وقد أشار الإمام إلى قسم من المعوّقات التي طرحها العوام عند بداية الثورة، فقال:

«... إنّ ترويج فكرة أن الشاه ظل الله، أو لا يمكن مواجهة المدفع والدبابة باللحم والجلد فقط، وأننا لسنا مكلّفين بالجهاد والمقاومة، أو من يتحمّل مسؤولية إراقة الدماء؟ والأسوأ من ذلك شعارهم المخادع ببطلان كل حكومة تقام قبل ظهور الإمام الحجة عجّل الله فرجه..، فكانت هذه من المشاكل

(١) ولاية الفقيه، الإمام الخميني، ص ١٣١ ـ ١٣٢.

(٢) ١٥خرداد: في سنة ١٣٤٢ ش، ١٣٨٣هـ، [١٩٦٣م]، قام أزلام الشاه باعتقال الإمام (قدس سره) وعدد من العلماء مما أدى لقيام ثورة شعبية عارمة قادها العلماء في العديد من المدن الإيرانية، فاستشهد العديد من المواطنين.

الكبيرة والصعبة التي لا يمكن مواجهتها بالنصيحة والمقاومة السلبية والإعلامية» (١).

الموضوع الآخر الذي قام به العوام ضمن جهودهم لتخطئة مساعي خواص الحق وبرامجهم، هو تأييدهم لأفكار الأعداء وخواص الباطل، لإيذاء خواص الحق وإزعاجهم، حتى أن البعض وقع عن جهل في فخ الأعداء ومؤامراتهم.

وحول تعامل العوام مع الأعداء في ترويج التهم والإشاعات في المجتمع ضد خواص الحق، يقول الإمام:

«لا تظنوا أن تهمة التبعية وافتراء عدم التديّن ضد رجال الدين صدرت فقط من الأغيار؛ أبداً إن الضربات التي وجهها رجال الدين الجهلة، ورجال الدين العارفين العملاء، كانت أشد كثيراً من ضربات الأغيار!» (٢).

ومن الأفكار الخاطئة للعوام، إظهار معارضتهم وخلافهم أثناء مواجهة الشعب لأعدائه وأثناء نضاله المستمر ضد الاستكبار العالمي، وكذلك ترويجهم لشعار المهادنة والصلح مع أعداء الإسلام، إضافة إلى تخطئتهم للنهضة الإسلامية للشعب الإيراني الشجاع. وحول هذا الموضوع، يقول الإمام:

«إنّ أصحاب الدنيا والمؤيدين لحاكمية الشعب المطلقة، يرون أن كل

---

(١) صحيفة نور، ج٢١، ص ٩٢.

(٢) المصدر السابق، ص ٩١.

ما يصدر عن هؤلاء الأولياء الإلهيين العظام مخالف للعقل والشرع، وأن العقل لا يستسيغ الثورة دون وجود التجهيزات الكافية، كما لا يسمح الشرع بذلك .. وكانوا يعتبرون الصلح مع النمروديين والفرعونيين والظلمة، والمهادنة مع الظالمين المتظاهرين بالإسلام والتسامح مع المحتكرين؛ هو طريق الصواب والعقل والشرع ولازالوا كذلك. ويرون أن الاستسلام والمهادنة مع أمريكا الجائرة وأتباعها، ممّا يستلزمه العقل والشرع، وأن معارضة ذلك مخالف للعقل والشرع»[١].

ومن هذا المنطلق، عندما سيطر الشباب الثوريون على وكر التجسّس الأمريكي[٢] في إيران، بدأت مواقف هذه المجموعة من الأفراد لتخطئة وإفشال هذه المحاولة الشجاعة لهؤلاء الشباب.

٢ـ تشويه صورة الجمهورية الإسلامية

ومن الآفات والضربات الأخرى التي تظهر بسبب العوام، هي عملهم بما يخالف الإسلام والنظام الإسلامي، بحيث يعملون على تشويه صورة النظام الإسلامي وإظهاره بالمظهر السيئ أمام الرأي العام. وكان هذا الأمر مورد قلق مستمر للإمام قدس سره فقال حوله:

«إنّ هؤلاء الأفراد الجهلة يتصورون أنهم بعملهم يقدّمون خدمة

(١) صحيفة الإمام، ج١١، ص ٣١٢.

(٢) وكر التجسس الأمريكي: وهو مقر السفارة الأمريكية الذي احتله الطلاب السائرون على نهج الإمام (قدس سره) وقد عبّر عنه الإمام بـ(الثورة الثانية).

للآخرين، ويقدّمون خدمة للإسلام، لكنهم يقدّمون بمفردهم على أعمال تلحق الضرر بحيثية الإسلام»[(١)].

إنّ المكانة السياسية والدولية الممتازة للنظام الإسلامي في العالم، تعد أحدى النقاط الإيجابية المتميزة لهذا النظام والمؤثرة على تحولات المنطقة والعالم. لكن عدم إدراك العوام لمثل هذه المكانة والظروف الجيدة للجمهورية الإسلامية في النظام الدولي، وترويجهم الأفكار السيئة في المجتمع أو مواقفهم المضادة لسياسات النظام الإسلامي العامة وانعكاس ذلك في وسائل الإعلام الخبرية؛ قد أوجد نتائج سلبية على تعريف البرامج والنظريات الإسلامية للنظام في العالم.

وحول هذا الموضوع، يقول الإمام:

«... إنّ هؤلاء الأصدقاء الذين لا يهتمون بعمق المسائل، ولا يهتمون بمكانتنا وظروفنا الحساسة التي نعيشها الآن، يعملون على تشويه صورة ديننا في العالم، وإظهاره بمظهر فاسد، وبمظهر رجعي متخلّف، وهذا ما يؤلمنا كثيراً»[(٢)].

وفي هذا المجال، لعب المتحجّرون دوراً أشدّ من بقية مجموعات العوام في إلحاق الضرر بالنظام الإسلامي وتوجيه الضربات الموجعة لأركانه، وعملوا بنظرياتهم وأفكارهم المنحرفة على تنفّر الشعب وانزعاجه من الحكومة الإسلامية، وهو الأمر الذي أشار إليه الإمام كثيراً، حيث ذم

---

(١) صحيفة الإمام، ج١١، ص ٣١٢.

(٢) صحيفة الإمام، ج٨، ص ٤٨٠.

في أحد بياناته الفكر الخاطئ للمتحجرين والمتنسّكين الرجعيين، فقال:

«... إذا أردتم الاستمرار بهذا الشكل، فلن تمض سوى فترة قصيرة حتى ينفر الشعب من هذا الإسلام وهذه النهضة وهذا النظام» [١].

٣ـ تهيئة الظروف الملائمة لنفوذ الأعداء

يستفيد الأعداء من وسائل متعددة للتغلغل في الدول الإسلامية والنفوذ في سلطاتها الحاكمة، وبالتالي تنفيذ خططهم وسياساتهم المشؤومة.

ومن أبرز الوسائل التي يستخدمها الأعداء وخواص الباطل لتحقيق نفوذهم الثقافي والسياسي في المجتمع الإسلامي هو استغلالهم لسذاجة العوام وتحجّرهم وتظاهرهم بالتدين، وضعف رؤيتهم وبصيرتهم؛ لأن السكوت في مقابل مواقف المعارضين للحكومة الإسلامية أو السقوط في فخ المتربّصين والساسة المنحرفين، تعدّ من المشاكل الأساسية التي يوجدها العوام لمنع تقدم برامج النظام الإسلامي وتحقّقها.

فالعوام يتأثرون بأدنى وسوسة من قبل خواص الباطل، فيصبحوا أدوات طيِّعة بأيديهم، تجعلهم ينفّذون عن جهل ما يريده الأعداء منهم. وعن هذا الموضوع، يقول الإمام:

«إنّ جميع الابتلاءات التي تعرّضنا لها طيلة هذه المرحلة التاريخية كانت ناتجة عن جهل الناس وتخلفهم. واتخذوا من جهل الناس وسيلة

---

(١) صحيفة الإمام، ج١١، ص ٣١٤.

بأيديهم ليوظفوها بما يخالف مصالحهم»[١].

وقد أصبحت مجموعة أخرى من العوام المخدوعين أدوات لتنفيذ مخططات الأعداء؛ إذ عمدوا إلى التحرك بما يخدم أهداف الأعداء كوسيلة لتحقيق مآربهم وأحلامهم الدنيوية.

وحول هذا الموضوع، يقول الإمام:

«.. إنّ الإنسان ليأسف حقاً من بعض الأفراد الذين كان بإمكانهم أن يصبحوا أناساً جيدين، ومفيدين، ويصبحوا مفيدين لأنفسهم ولبلادهم؛ لكنهم تصرّفوا عن جهل وغباء مع الجميع! بل إنهم من الأساس لم يفهموا ماذا يعني الإسلام.. كانوا يريدون خدمة الآخرين حتى يحصلوا لأنفسهم على بعض المنافع، لكنهم لم يحققوا أي شيء. فقد كانوا يظنون أن أمريكا ستأتي لا محالة، لذا ينبغي أن نجد لأنفسنا موضع قدم في هذه البلاد»[٢].

في أول سنة بعد انتصار الثورة الإسلامية كانت الحركات المناهضة للثورة تنشط في الجامعات، وتمكّنت من خداع بعض الشباب الجامعيين ممّن لا يمتلكون الرؤية الصحيحة ولا البصيرة، فاستطاعت إثارة الفوضى في الجامعات وحولتها إلى ساحة للصراع المسلح[٣].

وحول هذا الموضوع يقول قائد الثورة الإسلامية:

---

(١) المصدر السابق، ج١٣، ص ٤٥٢.

(٢) صحيفة الإمام، ج١٧، ص ١٥٢ ـ ١٥٣.

(٣) راجع صحف كيهان، ١٩٨٠/٤/٢١ و١٩٨٠/٤/٢٢؛ إطلاعات ١٩٨٠/٤/٢٠ و١٩٨٠/٤/٢١.

«في جامعة طهران في السنوات (١٩٧٩ و ١٩٨٠م) كان الطالب الجامعي يتمترس ويمسك السلاح بيده ليصوبه نحو الحكومة والشعب المجاهد، فبأي منطق يمكن لأحد فهم هذا العمل وتصديقه؟! إذ أن الجامعي الذي ينبغي أن يكون درعاً يحمي الثورة ويدافع عنها من الأعداء، أصبح بلاءً على هذه الثورة، وهذا ممّا لا يمكن القبول به أبداً، لكنّه حدث فعلاً»(١).

وفي السنوات (١٩٨١ و١٩٨٢م) وقع الكثير من الشباب السذج غير الواعين بفخ عملاء الأعداء، فوقفوا في صف أعداء النظام الإسلامي لمعارضة الحكومة ومواجهتها؛ بل أن بعضهم اشترك في بعض العمليات العسكرية أيضاً.

ولهؤلاء قال الإمام:

«بعد أن وقعتم في الخديعة، وأصبحتم لعبة بأيدي قادة المنافقين الخونة، إذ دفعوا بكم إلى الشوارع لتقوموا بهذه الحادثة المؤسفة الغادرة، بينما اختبئوا هم في أوكارهم؛ فبوجه من أردتم الوقوف والاعتراض؟»(٢).

وكان الإمام يقدّم النصيحة باستمرار لهؤلاء الأفراد، ويحذّرهم من أن يصبحوا أداة بأيدي المحتالين والمتآمرين، ويقعوا في فخهم كما كان الإمام يدعوهم للتأمّل بدقة وبصيرة في سلوك وعمل قادة المعارضة

(١) حديث ولايت، ج٢، ص ٣٠٧.

(٢) صحيفة الإمام، ج١٤، ص ٤٨٤.

وأعداء الجمهورية الإسلامية [1].

(١) المصدر السابق، ج١٥، ص ٣١ وج٢١، ص ٤٣٧ و ٤٣٨.

الفصل الرابع: خواص الباطل

إضافة إلى النشاطات والمساعي التي كان يقوم بها أهل الحق والمفكّرون والعلماء الإسلاميون لتجديد حياة الدين الإسلامي، وتحقيق الحكومة الدينية في المجتمع. كانت توجد في الجبهة المقابلة نشاطات أخرى يقوم بها أفراد يسعون إلى الحيلولة دون انتشار القيم الإسلامية وامتداد أشعة الإسلام المحمدي الأصيل. ويطلق على قادة ومفكري هذا المنهج إسم (خواص الباطل).

تعريف «توصيف»

في هذا القسم أيضاً سنتبع الطريقة ذاتها التي استندنا لها في التعاريف السابقة، من خلال إتباع منهج جديد في دراسة مؤلّفات الإمام والكلمات والاصطلاحات التي استعملها لوصف أعداء الإسلام بشكل عام، وأعداء الثورة الإسلامية بشكل خاص، حتى نتمكّن من خلالها وضع تعريف لخواص الباطل.

فقد استعمل الإمام اصطلاحات معيّنة لتعريف خواص الباطل

ووصفهم، منها: (القوى العظمى الغازية) [١]، (الإستكبار العالمي) [٢]، (الظلمة والأشقياء) [٣]، (معارضو الإسلام والجمهورية الإسلامية) [٤]، (أعداء الثورة والإسلام) [٥]، (الشياطين المتآمرون) [٦]، (المنحرفون والمنافقون) [٧]، (الجواسيس) [٨]، (عملاء الأجانب) [٩]، (المحتالون المحترفون) [١٠].

ويقول قائد الثورة الإسلامية في تعريف خواص الباطل وأعداء الإسلام:

«... توجد مجموعة تقف في النقطة المقابلة لأهل الحق، هم أهل الباطل. فإذا ما ذهبنا إلى صدر الإسلام نجد أن بعض الأفراد كانوا من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وأصحاب الإمام الحسين عليه السلام ومن بني هاشم، وفي الطرف المقابل يوجد أصحاب معاوية أيضاً، وهؤلاء كانوا

(١) صحيفة الإمام، ج٢١، ص ٤٢٤.
(٢) المصدر السابق، ج٢٠، ص ١١٩.
(٣) المصدر السابق، ج١٩، ص ١٦٠.
(٤) المصدر السابق، ج٢١، ص ٤٢٤.
(٥) صحيفة الإمام، ج١٩، ص ٢٧.
(٦) المصدر السابق، ج٢١، ص ٤٠٧.
(٧) المصدر السابق، ج١٧، ص ١١١.
(٨) المصدر السابق، ج٢١، ص ٣٢٦.
(٩) المصدر السابق، ج٩، ص ٣١٢.
(١٠) المصدر السابق، ج١٦، ص ١٥١.

ضمن الخواص أيضاً، فهم أفراد أصحاب فكر، يتمّعون بالعقل والحذاقة، ويؤيّدون بني أمية، فهم من الخواص، أيضاً، إذن الخواص في المجتمع على شكلين: الخواص المؤيدون للحق، والخواص المؤيدون للباطل» [١].

الخصائص وأسلوب العمل

إنّ الأفراد الذين يسعون إلى حفظ مصالحهم الدنيوية والاستعمارية يرون في انتشار القيم الإسلامية المتعالية تعارضاً وتضاداً مع هذه المصالح؛ لذا فإنهم اهتموا بجمع المعلومات الدقيقة عن طبيعة وكيفية السياسات الحساسة عند جبهة أهل الحق، وتعمّقوا بدراستها من الناحية الاجتماعية والنفسية، حتى يتمكّنوا من العودة إلى تقوية سيطرتهم وسلطتهم بين المسلمين والمستضعفين، وبالتالي إيجاد الفوضى والانحراف في الثورات الإسلامية، أو القيام بانقلابات ضد الأنظمة التي تستند إلى الأصول الدينية.

وهذه المواقف والمساعي تمثّل أبرز الخصائص التي تميّز أعداء الإسلام؛ وفي هذا القسم من البحث، سنتطرق إلى أهم الخصائص والمؤامرات التي أشار إليها الإمام في وصفه للأعداء أثناء مواجهتهم للإسلام والمجاهدين الإسلاميين والثورة الإسلامية

١ـ التغلغل في جبهة الحق واختراقها

ومن الأساليب المؤثّرة والقديمة لأعداء الإسلام، هو السعي للتغلغل في

---

(١) گزيده أخبار، ش ٦١١، ص ٩.

جبهة الحق واختراقها؛ ويبدأ هذا الأمر ببناء شخصيات مهمّة في المحافل الثقافية والسياسية، ثم يعمدوا إلى إيصالهم إلى مواقع حساسة في هذه المراكز، حتى يتمكّنوا تدريجياً وببرامج خاصة من استغلال الدول والشعوب الإسلامية والسيطرة عليها.

إنّ التغلغل في المراكز التربوية والعلمية واختراقها، يعدّ من أهم البرامج التي يعتمدها الأعداء والمستعمرون لإيجاد الانحراف في هذه المراكز أو الوصول إلى مراكز السلطة في الحكومات الدينية. لذا فإنهم يسعون إلى زج بعض أفرادهم للتغلغل في هذه المؤسّسات الحساسة التي تهتم بتربية الإنسان وتوعيته وتضع السياسات العامة للمجتمع والحكومة؛ حتى يتمكنوا فيما بعد من ترويج أفكار منحرفة تعارض الثقافة الإسلامية الأصيلة أو تعمل على اضمحلالها تدريجياً من المجتمع.

وحول هذا الأسلوب الخطير والصفة المؤذية التي يستعملها أعداء الثورة الإسلامية، يقول الإمام الخميني قدس سره:

«.. إنّ أحد الأساليب المهمّة لتنفيذ مآربهم المشؤومة والخطرة على الإسلام والحوزات الإسلامية، هي زجهم ببعض الأفراد المنحرفين المحتالين لاختراق الحوزات العلمية، حيث يظهر خطرها العميق قصير الأمد من خلال تشويه إسم الحوزات العلمية بأعمالهم المنافية للأخلاق والشرع وأساليبهم المنحرفة، أمّا خطرها العظيم جدّاً طويل الأمد، فيظهر عند وصول بعض أفرادهم المحتالين إلى المراكز الحساسة في المجتمع،

وبعد اكتسابهم المعرفة الكافية للعلوم الإسلامية، ونفوذهم بين عامّة الناس والشرائح الفقيرة الطيبة من الشعب، وإظهار أنفسهم بصورة الحريصين على مصالح الشعب، يقوموا في الوقت المناسب بتوجيه ضربة مهلكة إلى الحوزات الدينية والدين الإسلامي الحنيف والبلاد.

فنحن نعلم أن القوى العظمى المنحرفة تحتفظ ببعض الأفراد الذين زجت بهم بين أفراد المجتمع بأشكال مختلفة، من القوميين ونيري الفكر المتظاهريين، والمتلبسين بلباس رجال الدين - وهم أكثر خطراً من الآخرين إذا ما وجدوا المجال المناسب لعملهم! - إذ من الممكن أن يتظاهروا لمدة ثلاثين أو أربعين سنة بتأييدهم للمنهج الإسلامي والتظاهر بالتدين والوطنية وغيرها من الحيل، فيعيشوا بين الناس بصبر وتحمل لفترة طويلة، حتى تسنح لهم الفرصة المناسبة لتنفيذ مأموريتهم» [١].

«.. فمن الممكن أن يدّعي شخص الصدق والوطنية لعشر سنوات؛ بل ويذم الأجانب ويكتب المقالات ضدهم حتى يتسلل إلى قلوب الناس ويؤثر عليهم ولو ليوم واحد» [٢].

يرى الإمام أن أحد البرامج طويلة الأمد التي يعتمدها خواص الباطل لتشويه الصورة المعنوية والثقافية للثورة الإسلامية أو الإنقلاب التدريجي البطيء على النظام؛ هو استفادتهم من عملائهم وجواسيسهم الذين تغلغلوا

(١) وصيتنامه سياسي الهي، إمام خميني قُدِّسَ سِرُّه، ص ٣٧.

(٢) صحيفة نور، ج٩، ص ٦٤.

في المؤسّسات السياسية والاجتماعية والثقافية المختلفة.

فالإمام يعتقد أن النشاطات الخبيثة والمخادعة التي يقوم بها هؤلاء العملاء، تُعدّ من أكثر المشاكل التي تعيق المسيرة التكاملية لازدهار الثورة والجمهورية الإسلامية؛ وعلى هذا الأساس يحذّر الإمام الشعب الإيراني.

«احذروا هذه الآفات المؤذية، فأيادي الإستكبار العالمي تسعى للتغلغل في صفوفكم» (١).

٢ـ ممارسة الحرب النفسية (التهمة، الإهانة، و..)

إنّ أشد أسلحة أعداء الثورة والجمهورية الإسلامية تأثيراً، أثناء المواجهة مع النظام الإسلامي؛ هي استفادتهم من الحرب الإعلامية والنفسية لتضييق الخناق على النخب المثقّفة في المجتمع، من خلال توجيه التهم والإهانة، وترويج الشائعات، وتشويه شخصية النخب عند خواص الحق.

ومن الأساليب المتّبعة من قبل الأعداء لإشعال الحرب النفسية؛ توجيه التهم والإهانة للمراجع وعلماء الإسلام العظام؛ إذ كان المعارضون للحكومة الدينية يسعون دائماً إلى إهانة العلماء والمراجع والمفكرين المؤثّرين في استمرار النهضة الإسلامية واستمرار رسالة الأنبياء، وبالتالي العمل على تشويه مكانتهم السياسية والاجتماعية.

---

(١) صحيفة الإمام، ج١٥، ص ٢٦٧.

إنّ ترويج الإشاعات ضد الشخصيات المؤثّرة في جبهة الحق، يعدّ من الأساليب المعقّدة التي إتبعها الشياطين والمتآمرين لتلويث المجتمع وتشويه صورة النخب والطبقات المثقّفة عند الرأي العام، ممّا يؤدي إلى إبعاد خواص الحق وتهميشهم. وقد أشار الإمام إلى أحداث الحركة الدستورية، والأسلوب الذي اتبعه عملاء العدو لتشويه صورة الشيخ فضل الله النوري عند الرأي العام، فقال الإمام:

«لقد قاموا بنقل قضية الشيخ المرحوم فضل الله النوري بشكل سيء في النجف، ولم يحرّك أحد ساكناً حول ذلك، وقد أدت هذه الصورة السيئة التي صنعوها في إيران وسائر المناطق الأخرى؛ إلى الحكم على الشيخ فضل الله النوري بالإعدام من قبل بعض رجال الدين في إيران، فأعدم شنقاً أمام الملأ العام» [1].

كما أن آية الله الكاشاني أحد أبرز رجال الدين السياسيين في السنوات (١٩٤١ ـ ١٩٥١م)، قام بنشاطات مهمّة في مواجهة مؤامرات المستعمرين الإنجليز في إيران والعراق، لكنّه تعرّض إلى تشويه لشخصيته من قبل عملاء الأجانب مما دفعه إلى العزلة والإنزواء. وبعد أن ينقل الإمام حادثة تبين الأسلوب الذي اتبعه الأعداء في إثارة الرأي العام ضد السيد الكاشاني لعزله وانزوائه، يقول:

---

(١) صحيفة الإمام، ج١٨، ص ٢٤٨.

«.. لقد لاحظوا أن ظهور رجل الدين في الساحة، سيؤدي حتماً إلى حكومة الإسلام، وهو أمر حتمي وهذا ما حصل فعلاً، لهذا بدؤوا بإثارة الجو عليهم إلى درجة أنهم ألبسوا كلباً نظارة ـ وكما سمعت ـ وأخذوا يجرّونه وسط المجلس من هذا الطرف إلى ذلك الطرف وأطلقوا عليه اسم آية الله. وقد كنت يوماً في أحد المجالس وكان مجلس عزاء، إذ دخل المرحوم الكاشاني، فلم ينهض أحد من مكانه، فنهضت له وكذلك أحد علماء طهران الذي لا يزال موجوداً حتى الآن، وفسحت له المكان للجلوس – إذا لم يفسح له أحد مكاناً للجلوس – لقد أثاروا مثل هذا الجو على السيّد الكاشاني إلى درجة أنه لم يعدّ يستطيع الخروج من منزله، فيبقى محبوساً في غرفة في منزله، لا يستطيع الخروج منها، كما ألقوا القبض عليه عدّة مرّات آذوه فيها كثيراً» (١).

كذلك الشهيد بهشتي كان من الشخصيات البارزة في الثورة الإسلامية؛ إذ كان العقل المفكر والمخطط لسياسات النظام في الجمهورية الإسلامية؛ وكان يتميّز بصفات عديدة منها؛ القابلية العلمية، والرصانة، والذكاء، والتدبير، والبصيرة، وإطاعة أوامر الإمام.

لكن أعداء الثورة والمساومين والليبراليين، الذين سعوا بعد الثورة إلى التغلغل في أركان الحكومة وتقوية أسس قدرتهم السياسية، تفاجؤوا

(١) صحيفة الإمام، ص ٢٤٨ و ٢٤٩.

بوجود مانع كبير أمامهم تمثل بشخصية الشهيد بهشتي بما تميز به من وعي وشجاعة وعدم المساومة مع العدو؛ لهذا قام الأعداء بترويج الشائعات وتوجيه التهم إلى شخصية الشهيد لتشويه سمعته وصورته عند الرأي العام، وبالتالي عزله عن التأثير في السياسات العامة للنظام الإسلامي.

وحول سعي العدو والمغرضين والمحتالين لتشويه الصورة البارزة لشخصية الشهيد بهشتي، وانخداع بعض العوام بذلك، يقول الإمام:

«كان الشهيد بهشتي رَحِمَهُ الله إنساناً مجاهداً في سبيل الإسلام، ونافعاً، فعالاً، عالماً، مديراً، مدبّراً، وقد لاحظتم الفظائع التي افتعلها الأشرار لخداع الناس» [١].

أما في المحافل الدولية، فقد سعى الاستكبار العالمي بما يمتلكه من وسائل إعلامية ومحطّات خبرية إلى ترويج الشائعات وشن الحرب النفسية ضد الجمهورية الإسلامية؛ لعزلها في المحافل الدولية، وإحباط المساعي الدبلوماسية الخارجية للنظام الإسلامي. ومن بين التهم التي كان الإستكبار العالمي يوجّهها ضد الجمهورية الإسلامية هو دعمها للإرهاب:

«إنّ التهم بدعم الإرهاب وتدريب الإرهابيين التي كان يوجهها قادة البيت الأبيض وعملائهم ووسائلهم الإعلامية المرتبطة بهم، وظنوا أنها ستؤدي إلى إضعاف الجمهورية الإسلامية بشكل ملحوظ وكبير، قد أدت

(١) صحيفة نور، ج١٥، ص ٢٢٢.

بمشيئة الله إلى نتائج عكسية»[١].

٣ـ إيجاد الفرقة والاختلاف والنفاق

إنّ أهم أسباب نجاح القوى المعارضة لانتشار الإسلام هو نجاحهم في إيجاد الفرقة والاختلاف بين المؤمنين والنخب في جبهة خواص الحق.

وحول السابقة التاريخية لهذا التحرّك ونتائجه السلبية، يقول الإمام:

«.. لقد أقدم الأجانب وعملاؤهم على هذه الخيانة طيلة ثلاثمائة سنة؛ إذ سعوا إلى فصل الجامعة عن الحوزات العلمية؛ بل بثوا الاختلاف والفرقة بين الجميع، وأحدثوا الفرقة بين طبقات الشعب المختلفة، وهذه خيانة عظمى بحقنا وحق شعبنا»[٢].

وبعد انتصار الثورة الإسلامية، سعى العدو الجريح مجدداً إلى إتباع أساليب جديدة لتطبيق سياسته في إيجاد الفرقة والاختلاف؛ فعمد إلى وضع الخطط والبرامج الدقيقة لزرع الفرقة بين شرائح الشعب المختلفة، وهنا سنشير إلى أهم هذه الخطط والبرامج من وجهة نظر الإمام قدس سره.

لقد كان رجال الدين المجاهدين العاملين ممّن تحمّلوا العبء الأكبر في تقدّم الثورة ونجاحها، ونشر المعارف الدينية في المجتمع، ولازالوا الهدف الأساسي الذي يستهدفه العدو في خططه ومؤامراته، لذا ركّز على

---

(١) المصدر السابق، ج١٩، ص ١٩٨.

(٢) صحيفة نور ، ج٥، ص ١٥٥.

وضع الخطط الدقيقة لبث الفرقة والاختلاف بين أفراد هذه الشريحة الفعّالة المؤثرة.

«... مع وجود أساليبهم الشيطانية وأيادي عملائهم المفتوحة داخل البلاد؛ سعوا إلى إيجاد الاختلاف والفرقة، بأن جعلوا مجموعة في هذا الطرف، ومجموعة في ذلك الطرف، وبثوا الاختلاف بين علماء البلاد وجعلوهم فرقتين، لأن اختلاف العلماء هو اختلاف الشعب.. وسيزداد هذا الأمر تدريجياً ويتزايد الفساد تدريجياً، حتى يأتي اليوم الذي تصبح فيه البلاد على حافة الانفجار والهاوية من الداخل» (١).

إن الإتحاد بين الجامعيين ورجال الدين يعدّ أيضاً من العوامل المهمّة التي تساعد على نشر الثقافة الإسلامية، وتضمن للمجتمع مستقبلاً زاهراً من الناحية الثقافية والتقدّم العلمي والوقوف بوجه الغزو الثقافي. لهذا سعى عملاء العدو إلى إتباع أساليب متعدّدة لبث الفرقة والاختلاف بين هاتين الشريحتين المؤثرتين في بناء المستقبل:

«إنّهم الآن في وحشة من أمرهم، إنّهم يقولون علينا إبعاد هاتين الشريحتين [رجال الدين والجامعيين] عن بعضهما، ثم نبعد رجال الدين عن الشعب، فينتهي الأمر كما نريد» (٢).

ومن الأساليب الشيطانية الأخرى التي استفاد منها الأعداء منذ القدم ضد المسلمين، بث روح الفرقة والاختلاف بين الفرق والمذاهب الإسلامية

---

(١) صحفية الإمام، ج١٨، ص ٤٧٨.

(٢) المصدر السابق، ج١٢، ص ١٤٧.

حتى يتمكّنوا من إشعال فتيل الحرب الداخليّة بين المسلمين، وإضعاف قدراتهم السياسية والثقافية. وقد أشار الإمام إلى هذا الأمر المهم:

«إنّ عملاء الأجانب بعد أن أحسوا بالخطر على مصالحهم ومصالح أسيادهم، بدؤوا بتحريض إخوتنا من أهل السنة، وترويج القتل بين الإخوة، فطرحوا قضية الشيعة والسنة، وإيجاد الفرقة والاختلاف بين الإخوة بإتباع الأساليب الشيطانية» (١).

إنّ أعقد الأساليب الشيطانية للأعداء وأحدثها في بث الفرقة والاختلاف بين شرائح الشعب المختلفة، تلخّصت في التبليغ والترويج لسياسة تشكيل الأحزاب والمنظمات السياسية، وللأسف راجت هذه السياسة الخاطئة في إيران منذ العقد الثاني من عمر الثورة واستمرت حتى اليوم. وقد استفاد العدو كثيراً من هذا الأسلوب في المراحل المختلفة للثورة وخاصة في فترة الانتخابات، لإيجاد الانشقاق بين صفوف الشعب المجاهد المستعد للتضحية في كافة المجالات.

وبعد دراسته لتاريخ تشكيل الأحزاب السياسية في إيران، وفشل أغلبها في تحقيق الأهداف المنشودة للشعب كالحرية والاستقلال، قال الإمام:

«إن بداية تشكيل الأحزاب في دولة مثل إيران تعود إلى مخطط ورد إليها من الخارج» (٢).

«.. هم أيضاً يريدون ما يحدث الآن، بأن تؤدي زيادة الأحزاب إلى

---

(١) صحفية الإمام، ج٩، ٣١٢.

(٢) صحيفة نور، ج١١، ص ١٤٧.

زيادة الاختلافات»[١].

«لقد روجوا لسياسة الأحزاب حتى يمنعوا هذا الشعب بجميع شرائحه من العيش بسلام.. فهذا يدعو لذلك، وهذا يدعو لنفسه»[٢].

وبهذه السياسة تمكّنوا فعلاً من تقسيم الشعب والنخب في المجتمع إلى مجموعتين مؤيدة ومعارضة، معتدلة ومتطرفة، إصلاحية ومتشدّدة، واستطاعوا أيضاً الإيقاع بين مؤيدي الأحزاب السياسية والشخصيات الثورية.

٤ـ الحيلة والخداع

ومن الأساليب المعقّدة الأخرى التي استعملها المحتالون وخواص الباطل في تحقيق مآربهم في الوصول إلى السلطة أو إيجاد الانحراف في الثورات الإسلامية؛ هي استغلالهم للعقائد الدينية والثقافية للناس لخداعهم وتشويه قيم الإسلام المتعالية.

إنّ المنحرفين وعملاء الأجانب يلجئون إلى هذه الحيل والأساليب على ضوء خطط وبرامج مدروسة تستند إلى معلومات دقيقة في علم النفس وسلوك المجتمعات؛ ممّا يساعدهم على إيجاد أفضل السبل لترويجها في المجتمع.

وحول وصول رضاخان إلى السلطة عن طريق خداع الناس والاستفادة من الأساليب السياسية المخادعة، يقول الإمام:

«رضاخان أيضاً في أول ظهوره بدأ من مجالس العزاء والمشاركة في

---

(١) نفس المصدر، ١٥٩.

(٢) صحيفة نور، ص ١٩٦.

حلقات اللطم على الصدور، وحضور المواكب والدوران حول التكايا وإشعال الشمع فيها، لكن ما أن استحكمت دعائم سلطته، حتى سعى هذا المنحرف إلى محو جميع آثار الإسلام» (١).

ومن الحيل الأخرى لجبهة الباطل، استفادتهم من الشعارات المخادعة لمواجهة المناهج الصحيحة للإصلاحيين الحقيقيين، إذ استفاد نظام الشاه من السياسات المخادعة لإغفال الناس وخداعهم حتى تستمر القوى الكبرى في استغلالهم والسيطرة عليهم، ومن هذه السياسات رفعه لشعارات مثل:

الوصول إلى بوابة الحضارة، حرية النساء، ومحاربة الرجعية، والإصلاحات الواهية و.. وقد استمرت هذه الألاعيب السياسية والحيل حتى بعد انتصار الثورة الإسلامية.

وقد أشار الإمام إلى التحركات المشبوهة والشعارات المخادعة لبعض الحركات السياسية، فقال:

«.. إنّ من يريد التخريب، لا يعلن أني مخرّب، بل يعلن أني صديق لكم، أضحي بنفسي من أجلكم، أما رجال الدين فهم من الرجعيين» (٢).

وعبّر الإمام عن هذه الأساليب باصطلاح (السياسات الشيطانية) (٣)، لأنها تشبه أساليب الشيطان وحيله المتنوعة لإغواء الإنسان وخداعه، وقد استعمل

---

(١) صحيفة نور، ج١٥، ص ٢٢٣.

(٢) صحيفة الإمام، ج١٢، ص ٤٦٠.

(٣) صحيفة نور، ج١٤، ص ٩٦.

خواص الباطل هذه السياسات في مواجهتهم وحربهم ضد جبهة الحق.

إنّ الشيطان الأكبر والإستكبار العالمي التجؤوا بعد فشل مخططاتهم السياسية والعسكرية إلى الحيلة والخداع والتملّق، إذ حاولوا بعد فشل تهديداتهم اللجوء إلى الإعتذار من الشعب الإيراني، والاعتراف ببعض خياناتهم الكبيرة لإغفال الجمهورية الإسلامية وإحراج الشعب والقيادة الإيرانية.

وحول هذا الموضوع يقول الإمام:

«... كان يهددنا الشيطان الأكبر والإستكبار العالمي أحياناً بالحصار الاقتصادي وعزل البلاد، وعندما لم يحصل على أي نتيجة، لجأ الآن إلى مؤامرة سياسية وحيلة شيطانية من خلال إتباع التهدئة والتملّق لإغفالنا، وخداع شعبنا لتحميل نتائج مقامراته السياسية مع رقبائه»[١].

من الحيل الأخرى التي استعملها المنافقون والعملاء لخداع الشباب، التمسك بالقرآن ونهج البلاغة حتى يتمكنوا بهذه الوسيلة من استقطاب الأفراد الذين لا يمتلكون المعلومات الصحيحة عن المعارف الدينية العميقة، ثم استغلالهم لمواجهة القيم الإسلامية ومحاربتها.

وقد حذّر الإمام كثيراً الشباب من هذه السياسات الخطرة التي يمارسها العدو للإيقاع بهذه الشريحة المهمّة في حبائله الشيطانية:

«أيها الشباب الأعزاء من طلاب الجامعات والمدارس الثانوية، انتبهوا أن رؤساء وقادة هذه الأحزاب الذين يسعون باسم الإسلام إلى تفتيت

---

(١) صحيفة نور، ج١٢، ص ٣٠.

دعائمه وأركانه وإيقاع الشباب بحبائلهم الشيطانية، يجهلون تعاليم الإسلام ولا يملكون أي معلومات عن أهدافه وقوانينه؛ إذ لا يصبح المرء عالماً بالإسلام بقراءة بضع آيات من القرآن وعدد من عبارات نهج البلاغة أو التفسير الخاطئ للقرآن الكريم.

فهؤلاء الأفراد بتفسيرهم المنحرف لعدد من الجمل أو الآيات، ينكرون الآيات والجمل الصريحة التي تخالف بوضوح مرادهم المنحرف واللقيط لهذه الآيات، وفي الواقع هم يتمسّكون بالقرآن ونهج البلاغة لهدم الإسلام والقرآن حتى يفسحوا المجال لتدخّل قادة الشرق والغرب، ثم تعبئة الشباب العزيز وطاقات البلاد للعمل ضد مصالح البلاد وسياساته» [١].

«... إنهم يعادون الإسلام؛ ويريدون باسم الإسلام القضاء على الإسلام. فهم لم يؤيدوا يوماً الأهداف الإسلامية، واتخذوا من نهج البلاغة والقرآن وسيلة للقضاء وطمس نهج البلاغة والقرآن» [٢][*].

٥ـ الغزو الثقافي

من السياسات والبرامج القديمة التي اتبعها أعداء الإسلام والدول

(١) صحيفة الإمام، ج١٥، ص ٢٤٦.

(٢) المصدر السابق، ج١٥، ص ٣٣١.

(*) في مذكراته عن فترة إقامته في النجف، أشار الإمام إلى هذا الأسلوب الذي اتبعه المنافقون لخداع الناس، حتى أن أحد المنافقين كان يقرأ للإمام القرآن ونهج البلاغة يومياً لمدة ٢٠ إلى ٢٤ يوماً، حتى يقنع الإمام بالسماح له بالثورة المسلّحة. (راجع صحيفة الإمام، ج٨، ص ١٤٣ و ١٤٤؛ ج١٢، ص ٤٦٥ و ٤٦٦).

الإسلامية، هي إضعاف تمسّك المسلمين بعقائدهم الدينية والثقافية، واستبدالها بالثقافة الغربية المستوردة والمنحرفة. وحول هذا الموضوع، قال الإمام:

«إنّ الأجانب وخاصة أمريكا، كانوا يسعون في أواسط القرن الأخير ولازالوا يسعون إلى إفراغ ثقافتنا وبرامجنا الثقافية والعلمية والأدبية من محتواها الإسلامي والإنساني والوطني واستبدالها بالثقافة الاستعمارية الاستبدادية» [١].

ويرى الإمام أن العدو كان كثيراً ما يستفيد من المؤلّفين والكتّاب والمفكّرين المنحرفين لترويج هذه السياسة المنحرفة، إذ كانوا يروّجون للثقافة الغربية اللقيطة من خلال إلقائهم الشبهات والهجوم على العقائد الدينية للناس، حتى يبتعد الشباب عن ثقافتهم الدينية. ويقول الإمام:

«ليحذر شبابنا أن أمريكا لن تأتي لمحاربتكم شاهرة السلاح، بل تأتي رافعة القلم» [٢].

«إنّ أمريكا لن تجلب جندياً إلينا، بل أمريكا تجلب كاتباً ومؤلّفاً إلينا، إن أمريكا تجلب مذيعاً إلينا» [٣].

---

(١) صحيفة نور، ج٩، ص ١٨٧.

(٢) المصدر السابق، ج١٠، ص ١٥٦.

(٣) المصدر السابق.

خاتمة

لقد سعت هذه المؤسّسة من خلال تهيئـة هـذا الكـراس إلـى بيـان رأي الإمام في موضوع (العوام والخواص)، ممّا جاء في مؤلفاته وكلماتـه حـول هذا الموضوع، حتى يتسنى لجيل الثورة الجديد الإطلاع على تاريخ وفكر ودور العوام والخواص في البحوث السياسية للإسـلام والثـورة الإسـلامية، وبالتالي الوقوف على المعايير العامّة والأساسية التـي تمكّـنهم مـن تحليـل نشاطاتهم خلال العقد الرابع من عمر الثورة الإسلامية، رغم وجـود الكثيـر من المعلومات والخفايا الأخرى في هذا المجال.

ونظراً لوجود التشابه الكبير لسلوك ومواقف الأفراد والمجموعـات فـي العقد الرابع للثورة مع تلك المواقف التي كانت موجودة فـي العقـد الأول، يمكن للجيل الجديد بالاعتماد على المعايير التي وضعها الإمام، تـشخيص (الخواص) من (العوام) وتمييز الخواص الذين انحرفوا عن نهج الثورة مـن الخواص المتمسّكين بخط الثورة ومبادئ الإمام قدس سره.

المحتويات